سلسلة
تقريب لغة القرآن الكريم

كأس البلاغة

تأليف
الدكتور. حمزة حمزة أبو النصر
مدرس لغة بكلية التربية ـ جامعة المنصورة « مصر »
أستاذ مساعد بكلية التربية ـ جامعة عجمان « الامارات »

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان - المنصورة

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المنعم بجزيل النعم ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم قيل له : يا رسول الله! ما رأينا الذي هو منك أفصح ، قال : « **وما يمنعني من ذلك ، فإنما أنزل القرآن بلساني ، لسان عربي مبين** » فصلاة الله وسلامه عليه .

أما بعد :

فقد رأيت ناشئة أبناء العربية أبعد ما يكونون عن استعذاب بليغها ، وعشق فصيحها ، ورأيت سائر ما تحدث به الفصحاء مهجوراً ، وما تبارى في مضماره البلغاء مهجوراً ، وأدركت أن لذلك أسبابه ونتائجه .

أما أسبابه : فكثيرة ، منها : ازدواجية اللسان : (عاميّ ،وفصيح) ، وضحالة ما يقدم إلى أبنائنا في قاعات الدرس ، وجمود ألسنة عارضيه عن تذوقه فضلا عن ترغيب الناشئة في ذلك ، وشيوع تلك الأنماط من الأشعار والغناء الدارج العابث اللاهي .

وأما نتائجه : فوخيمة أبرزها انقطاع الأسباب بالأصول العربية ، واستعجام اللسان والفكر فلا يعود يهضم عربية ، ولا يفهم قرآنا أو سنة ، وكفى بذلك ـ لاحققه الله أبدا ـ داهية وقاصمة .

وقد أردت تقريب لغة القرآن الكريم : اللغة العربية الشريفة من ألسنة وقلوب وعقول أبنائها ، فشرعت في وضع سلسلة من الكتب هذا أحدها ـ أجمع فيها الطريف البليغ ، وأخرجه بسياق يقرّبه ويحببه ، وأجلو غوامض مفرداته ومعانيه ، لعليّ أستطيع بذلك إبقاء العذب من اللفظ على أطراف

الألسنة ، بعد أن كادت أجاج الدارجة والأجنبية أن يميت خلايا التذوق في أطراف الألسنة .

ولقد رجوتُ وجه الله بذلك ، وأسأله رحمته التي وسعت كل شيء ، وأن يشمل جهالاتي وخطاياي بعفوه ، وأن يجعل عملي هذا مما ينتفع به بعد موتي حتى لا ينقطع عملي . إنه نعم المولى ونعم النصير .

وكتبه راجي عفو ربه

الدكتور / حمزة حمزة أبو النصر

المحلة الكبرى / مصر

الخميس ١٥/٨/٢٠٠٢م

١ ـ إنَّ العَرْفَجَ قَدْ أَدْنَى

من لم يستطع التصْريح ، كَنَى أوْ ورَّى .

وما أكثرها تلك المواقف التي يحتاج الإنسان فيها إلى ذلك .

فعلها ـ ﷺ ـ حين لقى رجلاً، فسأله عن أمور، ثم عنّ للرجل أن يسأل النبي ـ ﷺ ـ قائلا : ممّن الرجل؟ قال ـ ﷺ ـ : « من ماء » وهو اسم قبيلة (كما ظن السائل) بينما قصد النبي ـ ﷺ ـ أنه ككل البشر قد : ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ .

واحتاجه رجل من بني العنبر :

كان أسيراً في «بكر بن وائل» فسألهم رسولاً إلى قومه، فقالوا له : لا ترسل إلا بحضرتنا ؛ لأنهم كانوا أزمعوا غزو قومه فخافوا أن ينذر عليهم .

وجاؤوه بعبد أسود .

قال الأسير للعبد : أتعقل ؟

قال العبد : نعم إنّي لعاقل .

قال الأسير : ما أراك عاقلا ، ثم أشار بيده إلى الليل وقال : ما هذا؟

قال العبد : هذا الليل .

قال الأسير : أراك عاقلا . ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟

قال العبد : لا أدري ، وإنه لكثير .

قال الأسير : أيما أكثر ؛ النجوم أم النيران ؟

قال العبد : كُلّ كثير .

قال الأسير : « أبلغ قومي التحية وقل لهم : ليكرموا فُلانًا ـ يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر بن وائل ـ فإن قومه لي مكرمون » وقل لهم : إن العرفج قد أدنى ، وقد شكّت النساء ، وأمرهم أن يَعْروا ناقتي الحمراء ؛ فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب ، بآية ما أكلت معكم حيسًا، واسألوا الحرث عن خبري .

وحمل العبد الرسالة إلى قوم الأسير ، فلما أبلغهم رسالته قالوا : لقد جُنّ الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملاً أصهب . ثم سرّحوا العبد، ودعوا الحرث ، فقصوا عليه القصة .

قال الحرث : قد أنذركم :

أما قوله : « قد أدنى العرفج » : فإنه يريد أن الرجال قد استلأموا أي لبسوا الدروع .

وقوله : « قَد شكّت النساء » أي اتخذن الشكاء للسفر .

وقوله : «ناقتي الحمراء » أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب .

وقوله : « بآية ما أكلت معكم حيسًا » : يريد أخلاطا من الناس قد غزوكم ؛ لأن الحيّس يجمع التمر والسمن والأقط .

فامتثل قوم الأسير لما جاء في رسالته ، وفهموا فحوى كلامه .

٢ ـ صِفْنَ مَا تُحْبِبْنَ مِنَ الأَزْوَاج

قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها : صِفنَ ما تحببن من الأزواج .

قالت الكبرى :

أريد أروع بَسَّامًا : أحَذّ مجذامًا ، سَيِّد ناديه ، وثِمَالَ عَارفيه ، ومُحْسِبَ راجيه ، فِناؤه رحب ، وقياده صعب (١) .

وقالت الوسطى :

أُريدهُ عَاليَ السَّناء ، مَصَمَّمَ المَضَاء ، عظيمَ نارٍ ، مُتَمِّم أَيْسَار ، يُفيد ويُبيدُ ، ويبدئ ويعيد ، هو في الأهلِ صبيّ ، وفي الجيش كميٌّ ، تستعبده الحليلة ، وتَسَوَّدُه الفضيلة (٢) .

وقالت الصُّغْرى :

أريده بازل عام ، كالمهنَدِ الصَّمصَام ، قِرانه حبور ، ولقاؤه سرور ، إن

---

(١) الأروع : النجيب الكريم (أو الذي يروعك جماله ، الأَحَذّ : الخفيف السريع ، المجذام: القطّاع في الأمور « غير المتردد » ، ثمال عافيه : الثمال للقوم : غياثهم ومن يقوم بأمرهم ، وعافيه : من يأتيه يطلب غوثه ونداه ، ومحسب راجيه : كافٍ من يرجوه فلا يرد من يرجوه خائبًا ، فناؤه رحب : فناء داره متسع للأهل والأضياف ، قيادة صعب : لا يسهل التأثير على آرائه .

(٢) عالي السناء : رفيع الشرف والقدر ، مصمم المضاء : يمضي في الأمور لا يثني عزمه شيء . عظيم نار : بيته كريم يطبخ فيه ويقري الأضياف ، متمم أيسار : الأيسار جمع يسر ، وهو الذي يدخل مع القوم في القداح « الميسر » وهو عندهم مدح ، وعكسه : البَرَم ، وهو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، وهو عندهم ذَمّ ، والكميّ : الشجاع الذي يتكمى الأقران ، أي يقصد إليهم مقاتلا غير هياب ولا جبان .

ضَمَّ قَضْقَضَ، وإن دَسَرَ أَغمَضَ ، وإن أخَلَّ أَحمض (١) .

قالت أمها : فُضَّ فوك ، لقد فَرَرت لي شِرَةَ الشباب جَذَعة (٢) .

(١) بارل عام : البارل من الإبل من دخل في التاسعة من عمره ، وبزل نابه : أي شق وظهر، فإذا مضى عليه عام بعد ذلك فهو بارل عام « ولعلها تقصد أنه كبير مجرّب »، المهند الصمصام : السيف الهندي القاطع ، قرانه حبور : مجاورته سرور ، إن ضم قضقض : إذا احتضن اشتد احتضانه حتى تفرقع العظام . دَسَرَ : دفع وأزاح .

(٢) فض فوك : عشت طويلاً حتى سقطت أسنانك . فررت لي : فَتّشْت ، كأنها تقول : أعدت إلى ذاكرتي ، شرة الشباب : قوته وشدته ونهضته ، جذعة : صغيرة السنة «والجذعة من الإبل هي التي استكملت السنة الرابعة » .

٣ ـ مثلُك فَلْيَصِفْ أُسْرَتَه

كان ذُو فائسٍ الملك الحميريّ يحب اصطناع سادات العرب ، ويقرّب مجالسهم ، ويقضي حوائجهم ، وكان (عُلَبَةُ) شاعرًا حَدَثًا ظريفًا ، فقال له عبد الملك : ألا تحدثني عن أبيك وأعمامك ، وتصف لي أحوالهم ؟

فقال عُلبةَ : بلى أيها الملك :

هم أربعة : زياد ، ومالك ، وعمرو ، ومُسْهِر .

فأما زياد : فما استْلّ سفيا ـ مذ ملكت يده قائمَةُ إلا أغمده في جثمان بطل ، أو شوامت جمل ، وكان إذا حَمْلَق النجيد ، وصلصل الحديدُ ، وبلغت النفس الوريد ، اعتصمت بحقويه الأبطال ، اعتصام الوعول بذري القلال ، فزاد عنهم الأبطال زياد القُرُوم عن الأشْوال [(١)] .

وأما مالك : فكان عصمة الهوالك ، إذا شُبِّهت الأعجازُ بالحوارك ، يَفْرِى الرعيل فَرْيَ الأديم بالإزميل ، ويخبط البهم خبط الذئب نقَاد الغنم[(٢)] .

---

(١) شوامت جمل : الشوامت القوائم ، يريد أنه يعقر الإبل ليكرم الأضياف .
حملق النجيد: إذا انقلب باطن جفن الشجاع من شدة الحملقة . والنجيد : السريع الإجابة إلى الداعي إذا دعاه إلى خير أو شرّ . صلصل الحديد : صار له صلصلة وصوت (كناية عن تقاطع السيوف في المعارك) . اعتصمت بحقويه الأبطال : الحقو موضع ربط الإزار على الوسط ، والكلام كناية عن احتمائهم به ، وتداريسهم خلفه .
اعتصام الوعول بذري القلال : احتماء ذكور نعاج الجبل بأعالي قمم الجبال فلا تُطال .
زياد القروم عن الأشول : الأشوال : جمع شول ، وهي الناقة التي جفّ لبنها « يريد أنه يحمي من يحتمون به حماية الفحل لما حوله من النوق » .

(٢) عصمة الحوالك : من يعتصم به ، ويلاذ به في الحالكات الشداد من الأمور والمواقف شبهت الأعجاز بالحوارك . يفري الرعيل فري الأديم بالإزميل : يمزق جماعة الخيل =

وأما عمرو : فكان إذا عَصَبَت الأفواه ، وذَبَلَت الشفاة ، وتفادت الكماة، خاض ظلام العجاج ، وأطفأ نار الهياج ، وألوى بالأعراج ، وأردف كل طَفْلَة مغناج ، ذات بَدَن حِراج ، ثم قال لأصحابه : عليكم النّهاب ، والأموالَ الرغاب ، عطاء لا ضنين شكسٍ ، ولا حَقَلَّد عكسٍ (١) .

وأما مسْهِرٌ : فكان الذُّعَاف المُمْقِرُ ، والليث المُخْدِرُ ، يحمي الحرب ويسعر ويبيح النهب فيكثر ، ولا يَحْتَجِنُ ولا يستأثر (٢) .

فقال ذو فائس لعلبة : لله أبوك ، مثلك فليصف أسرته .

= تمزيق الجلد بحدّ الشفرة الحادة القاطعة.

ويخبط البهم : البهم جَمْعٌ واحد بُهْمَةٌ، وهو الشجاع الذي لا يُعلَم من أين يُؤتَى له .

ونقاد الغنم : صغارها ، والمعنى أنه يسوق الأبطال الذين لا يعرفون أحد من أين يدخل إليهم وكأنه يسوق قطيعًا من صغار الغنم .

(١) عصبت الأفواه : إذا غلظ ريقها ولصق بالفم ويَبِسَ ، وذلك في وقت الشدائد .

تفادت الكماة : استتر الشجعان بعضهم ببعض كل يحتمي بالآخر .

خاض ظلام العجاج : دخل المعركة مخترقًا ـ إلى العدو ـ ماتثيره الخيل ـ في المعركة ـ بأرجلها من التراب والعجاج المرتفع حتى يكاد المكان يظلم من كثافته .

أطفأ نار الهياج : وضع حدًا للمعركة بإنهائها بالانتصار فيها . وألوى بالأعراج : رجع بالغنائم ، والأعراج : جمع عَرْج ، وهو نحو خمسمائة من الإبل.

أردف كل طفلة مغناج : حمل وراءه على فرسة السبية الجميلة ذات الدلال والغنج ، «والطفلة: الحديثة السن » .

عليكم النهاب ، والأموال الرغاب : ترك لأصحابه بقية أن يغنموا وينهبوا ويحملوا الأموال . عطاء لا ضنين شكس ، ولا حقلد عكس : يترك لأصحابه الغنائم عطاء غير بخيل ولا منازع، ولا حِقْلَّد « سيئ الخلق » ولا عكس « عسرُ الأخلاق » .

(٢) الذعاف الممقر : الذعاف : السمّ سريع القتل ، والممقّر : الشديد المرارة أو الحموضة «والمُمْقِرُ: الصَّبْرُ » . الليث المخدر : الأسد الذي يحمي من وراءه في الخدور .

يحمي الحرب ويسعر : يقيمها ، ويشعل نيرانها .

لا يحتجن ولا يستأثر : لا يحتكر لنفسه شيئًا ، ولا يخفي ما عنده عن أصفيائه .

٤ ـ يَالها أمَّ عِيَال

قال أبو عمرو بن العلاء : رأيت باليمن غلامًا جَرْم يشد عنزًا ، فقلت صِفْها يا غلام .

قال : « حَسْراء مقبلةً ، شعراءُ مدبرةً ، ما بَيْن غُثْرَة الدُّهْسَة ، وقُنُوء الدُّبسة ، سَجْعَاءُ الخَدين ، خطلاء الأذنين ، فَشْقَاءُ الصُّورين ، كأن زَنَمتَيْها تَتْوَا قُلنسَية ، يَا لها أم عِيَالٍ ، وثِمَالَ مالٍ » [1] .

---

(١) حسراء مقبلةً : الحسراء : قليلة شَعْر المُقَدَّمِ قد انحسر شعرها إذا هي أقبلت بدا شعرها قليلا منحسرا .

شعراء مُدْبَرةً : كثيرة شعر المؤخَّر ، فإذا ذهبت بدت كثيرة الشعر .

ما بين غثرة الدّهْسَةِ ، وقنوء الدَّبسَة :

هذا وصف لون شعر العنز ، فهي : ما بين غُثْرة (غُبْرة وكدرة) الدهسة : اللين الناعم الذي لا يبلغ أن يكون رملاً ، وليس في الوقت نفسه ترابًا ولا طينًا ، وشدة حمرة . الدُّبسة «ما يسيل من الفاكهة كتمر وغيره » .

سجعاء الخدين : معتدلة خلقة الخدّين لا اعوجاج فيهما .

خطلاء الأذنين : تتبختر بأذنيها « كأنما يهتزان تيها وعجبا إذا مشَتْ » ، أو هما طويلتان متحركان وتضطربان إذا مشت .

فَشْقَاءُ الصورين : بين صوريها « قرنيهما » تباعد .

كأن زنمتيها تَتْوَا قلنسية : كأن زنمتيها « الزائدتان المتعلقتان مابين لِيحَيَىْ العنز » ذؤابتان «طرفان» لعمامة أو قلنسوة . ثِمَالُ مَال : بقية ما يمتلكه صاحب المال .

هذا الغلام أشد افتتانًا بعنزته من الأعش بهريرة التي قال فيها :

ودع هـريرة إن الركــب مرتحــل ... وهــل تطيق وداعًا أيها الرجــل

غرّاء ، فرعاء ، مصقول عوارضها ... تمشي الهويني كما يمشي الوجى الوحِلُ

من كعب بن زهير بسعاد التي قال فيها :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكي قِصَرٌ منها ولا طول ـ المؤلف

٥ ـ انتصف لشيْخه

قد يملك الرجل ناصية الأمر ، ويكونَ شيخًا مُقَدّمًا فيه ، لكنّ هذا لا يمنع من أن تغيب عنه غائبة ، أو تشرد منه شاردة ، وليس لأحد أن يظن أنه قد جمع أطراف العلم بكل شيء ، ولا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فإذا ظَنّ أنه قَدْ علمَ فقد جَهِل .

عن يونس قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه شُبَيْل بن عُرْوَة الضبعي ، فقام إليه أبو عمرو ، فألقى إليه لبدة بغلته فجلس عليها ، ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شُبَيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه .

قال يونس : فلما ذكر (رؤبة) لم أملك نفسي ، فزحفت إليه ، فقلت: لعلك تظنّ أن معدّ بن عدنان أفصح من رؤبة وأبيه ، فأنا غلام رؤبة، فما الرُّوبة ، والرُّوبَةُ ، والرَّوبَةُ ، والرُّوبَةُ ، والرؤبة ؟ فلم يُحرْ جوابًا، وقام مغضبًا ، فأقبل عليّ أبو عمرو بن العلاء وقال : هذا رجلٌ شريفٌ يقصدُ مجالسنا ،ويقضِي حُقُوقَنا ، وقد أسأتَ فيما واجهته به . فقلت: لم أملك نفسي عند ذكر (رؤبة) .

ثم فسّر يونس فقال :

الروبة : خميرة اللبن .

والروبة : قطعة من الليل .

وفلان لا يقوم بروبة أهله : أي بما أسندوا إليه من أمورهم وحوائجهم.

والروبة : جِمَامُ ماء الفحل (١) .

والرؤبة (مهموزة)(٢) ، القطعة تدخلها في الإناء تشعب بها الإناء (٣).

---

(١) المقصود : رؤبة بن العجاج الشاعر الرجاز .

(٢) مجموع مائه .

(٣) تشعب الإناء : تحدث به شعب « شرخًا » .

يا لها من خَيلٍ وإبل

وَصَفَ أعرابيٌّ خيلا فقال :

سباط الخَصَائل [١] ، ظماءُ المفاصل [٢] ، شِدَادُ الأَباجِل [٣] ، قُبُّ الأياطل [٤] ، كرامُ النّواجِل [٥] .

ووصف آخر إبلاً فقال :

إنها لعظام الحناجر [٦]، سباط المشافر [٧]، كومٌ بَهَازِرُ [٨]، نكُدٌ خناجر [٩] أجْوافها رغاب [١٠] ، وأعْطَانِها رحاب [١١] ، تُمْنَعُ من البُهَم [١٢] ، وتبذلُ للجُمَم [١٣] .

---

(١) سباط الخصائل : سباط : طُوال ، والخصائل : واحدتها خصيلة ، وهي كُلّ قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة . وقالوا : ما انماز (تميز) من لحم الفخذ بعضُه من بعض.

(٢) ظماء المفاصل : مفاصلها ضامرة .

(٣) شداد الأباجل : شداد القوائم ، والأباجل : جمع أبجل وهو من الفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان .

(٤) قُبّ الأياطل : ضامرة الكشح « الكفل » .

(٥) كرام النواجل : النواجل : جمع ناجلة ، وهي مانجلتْه أي ولدته .

(٦) عظام الحناجر : جمع حنجور وهو الحلقوم .

(٧) سباط المشافر : ممتدة أو طويلة المشافر ، والمشافر : الشفاه الغليظة.

(٨) كوم بهازر : الكوم : جمع كوماء . وهي العظيمة السَّنام ، والبهازر : جمع بُهْزرة ، وهي العظْمة .

(٩) نكد خناجر : كثيرة الألبان (والنكد أيضا : التي لا يبقى لها ولد) .

(١٠) أجوافها رغاب : أجوافها واسعة .

(١١) وأعطانها رحاب : مباركها واسعة .

(١٢) تمنع من البُهَم : البهم ، جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي لا يعرف من أين يؤتى .

(١٣) وتبذل للجُمَم : الجمم : جمع جُمّة ، وهم القوم يسألون الديات .

٧ ـ مُعْجَبٌ بنفسه .. وبأولاده

قيل لأعرابي : ألك بنون ؟

قال : نعم ، وخالقِهم لم تَقُمْ عن مِثْلِهم منجبة .

قيل له : فَصِفْهُمْ لنا .

فقال : جَهْمٌ ، وماجَهْم (١) ، ينضِي الوَهَمْ (٢) ، ويَصُدّ الدَّهْمَ (٣) ، ويَفْري الصّفوف (٤) ، ويُعِلّ السيوف (٥) .

قيل له : ثُمّ مَنْ ؟

فقال : غَشَمْشَمٌ ، وما غشمشم ، مالُهُ مُقسَّم (٦) ، وقِرنُهُ مُجرجم (٧) ، جِذْلُ حكاك (٨) ، ومدره لكاك (٩) .

---

(١) وماجهم ، يقال : وما كذا بقصد إبهام مقدار العظمة فيه .

(٢) يفضي الوهم : يُهْزِل « والنضو : المهزول » والوهم : الضخم العظيم من الإبل «ركاب إبل متعب لها » .

(٣) يَصُدّ الدّهم : يكف العدد الكثير من الناس « لكفاءته في مقاتلة الأقران » .

(٤) يفري الصفوف : يقطع الصفوف المتصلة بهجمته على العدو « تقول : فَرِيتُ الشيء : إذا شققته لإصلاحه ، وأفريته : إذا شققته لإفساده » .

(٥) يُعلّ السيوف : يسقيها الدماء مرة بعد مرة « من العَلَل في الشرب ، وهو الشرب مرة بعد مرة » .

(٦) ماله مقسم : لا يكنز المال ، بل هو جواد يوزعه على من حوله .

(٧) قرنه مجرجم : عدوه ومنازله في الحرب مصروع مقتول بيده .

(٨) جذل حكاك : ممن يُسْتَشفى برأيه في الأمور « كأنه جذع الشجرة الذي تحتك به الإبل الجرباء لتشفى » .

(٩) مدره لكاك : المدرة : لسان القوم المتكلم عنهم ، واللكاك : الزحام « خطيب الجموع» .

قيل له : ثم مَنْ ؟

فقال : عَشَرّبٌ ، وما عَشَرّبٌ ، ليثٌ محرّب [١] ، وسمام مُقشّبٌ [٢] ، ذكره باهرٌ ، وَخَصْمُهُ عَاثِرٌ ، وفناؤه رُحاب ، وداعيه مجاب .

قيل له : فصِفْ نفسك .

فقال : ليث أبو رَيَابل [٣] ، ركاّبُ معاضِل [٤] ، عَسّاف مجاهل [٥] ، حمالُ أعباء، نَهّاض ببزلاء [٦] .

---

(١) ليث محرّب : أسد قد اشتد غضبه « من حربت السكين ، إذا أحددته » .

(٢) سمام مقشب : السمام : الطلعة ، والمقشب : المخلوط .

(٣) أبو ريابل : الريابل : جمع ريبال (أورتبال) وهو الأسد ، فهو أبو أسود .

(٤) ركاب معاضل : يدخل في الأمور العظام (الدواهي) ولا يهاب .

(٥) عشاف مجاهل : يدخل في المجاهل دون أن يخاف « والعساف : الذي يركب الطريق على غير هداية » .

(٦) نهاض ببزلاء : مقدم للآراء الجيدة « الرأي الجيد الذي يبزل عن صواب » .

٨ - بَلاَغة الغِلْمان

لا يحول صغر السنّ دون بلاغة القول ، ولا انشغال الفؤاد بلعب الصبيان دون فصاحة اللسان ، وثبات الجنان .

خرج رجل من العرب في الشهر الحرام طالبا حاجة ، فَدَخَل في الحِل[١]، فطلب رجلا يستجير به ، فَدَفَع[٢] إلى أغيلمة [٣] يلعبون ، فقال لهم :

من سيد هذا الحواء ؟

فقال غلام منهم : أَبِيَهْ .

قال : ومن أبوك ؟

قال : باعث بن عويص العاملي .

قال : صف لي بيْت أبيك من الحواء [٤] .

قال : بيتٌ كأنه حَرّة سوداء [٥] ، أو غمامة حماء [٦] ، بفنائه ثلاثة أفراس :

---

(١) دخل في الحل : وصل إلى أرض هي خارج الحرم .

(٢) دفع : تقدم في مسيره ، أو مشى ، أو دفع دابته .

(٣) أغيلمة : غلمان صغار .

(٤) الحواء : بيوت الناس من الوبر مجتمعة على ماء .

(٥) حرة سوداء : الحرة : أرض ذات حجارة سود كأنها أُحرقت ، ووصفها بالسواد يدل على شدة سواد لون البيت .

(٦) غمامة حماء : الغمامة : السحابة ، والحماء : السوداء .

أما أحدها: فمفرع الأكتاف[١]، متماحل الأكناف[٢]، ماثل كالطراف[٣].

وأما الآخر: فَذَيّال [٤]، جوّالُ صهّال [٥]، أمينُ الأوصال [٦]، أشمّ القذال [٧].

وأما الثالث: فَمُغَارٌ مَدمَجٌ[٨]، محبوك محْمَلَجٌ[٩]، كالقهقرِ الأدْعَجِ[١٠].

فمضى الرجل حتى انتهى إلى الخباء، فعقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقال: يا باعث، جار علقت علائقه [١١]، واستحكمت وثائقه [١٢]، فخرج إليه باعث فأجاره.

---

(١) مفرع الأكتاف: أكتافه قوية عالية، و(الفَرْعَة: أعلى الجبل).

(٢) متماحل الأكناف: المتماحل: الطويل، والأكناف: النواحي (يريد أنه طويل العنق والقوائم، وذلك مدح للفرس).

(٣) ماثل كالطراف: الماثل: القائم المنتصب، والطراف: بيت من الجلد (كأن الفرس، في وقوفه وانتصاب قوائمه وضخامة جسمه بيت من أدم).

(٤) ذيال: طويل الذنب.

(٥) جَوَّال صَهّال: كثير الجولان والحركة، عالي الصوت مرتفع الصهيل.

(٦) أمين الأوصال: الأوصال (واحدها وُصْل): الأطراف، يعني أنه قوي الأطراف ممهدها مطمئنها.

(٧) أشم القذال: الأشم: المرتفع (والشمم: الارتفاع) والقذال مؤخر الرأس، فوق القفا.

(٨) مغار مدمج: المغار: شديد الفتل (يريد أن الفرس شديد البدن)، والمدمج: المتداخل أجزاء الجسم في تماسك وقوة.

(٩) محبوك محملج: المحبوك: موثّق مشدود، والمحملج: المفتول.

(١٠) كالقهقر الأدعج: القهقر: الحجر الصّلب، والأدعج: الأسود (يقال رجل أدعج: أي أسود، وليل أدعج: والدعج شدة سواد الحدقة).

(١١) علقت علائقه: ارتبطت روابطه.

(١٢) استحكمت وثائقه: اشتد ماوثق (ربط) به نفسه (كأنه يقول قد ربطت نفسي بك فأجرني).

٩ ـ وَمَا الزّوْجُ ؟

هَلْ يغني مُلْك وسلطان ، عن زوج وأنيس .

ومتى انفض الحشم والأتباع والوزراء ، والندماء من حول سرير الملك ، دخلت الملكة إلى نفسها ، أفيغنيها ما كانت فيه من أبهة الملك عن رفيق الدرب، وشريك الحياة ؟

حدثوا فقالوا :

كان قيل [١] من أقيال حمير مُنِع الولد دهراً ، ثم وُلِدَت له بنت ، فبنى لها قصراً منيفًا [٢] بعيدًا من الناس ، ووكّلَ بها نساءً من بنات الأقيال يخدمنها ، ويؤدبنها ، حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمّه في عقلها وكمالها .

فلما مات أبوها ملكها أهل مخلافها [٣] فاصطنعت [٤] النسوة اللاتي ربينها ، وأحسنت إليهنّ ، وكانت تشاورهن ولا تقطع أمرًا دونهن ، فقلن لها يومًا: يا بنت الكرام ، لو تزوجت لتم لك الملك . فقالت : وما الزوج؟

فقالت إحداهن :

الزوج عزّ في الشدائد ، وفي الخطوب مساعد ، إن غَضبت عطف ، وإن مرضت لطف.

قالت : نعم الشيء هذا .

---

(١) قيل : الأقيال من هم دون الملك الأعظم .

(٢) قصراً منيفًا : قصراً طويلا في ارتفاع (المنيف : المشرف المطل على غيره).

(٣) أهلا مخلافها : أهل مملكتها أو ولايتها .

(٤) اصطنعت : اتخذتهن صنائع ، أي موظفات لديها يشاورنها .

قالت الثانية :

الزوج شعاري [١] حين أصرد ، ومتكئي حين أرقد ، وأُنسي حين أَفرُد .

فقالت : إن هذ لمن كمال العيش .

فقالت الثالثة : الزوج لما عناني كاف [٢] ، ولما شفّني شاف [٣] ، يكفيني فقد الآلاف ، ريقه كالشهد ، وعناقه كالخلد ، لا يمل قرانه [٤] ، ولا يخاف حرانه[٥] .

فقالت : أمهلنني أنظر فيما قُلتُنّ .

فاحتجبت عنهن سبعًا ، ثم دعتهنّ فقالت :

قد نظرت فيما قلتن: فوجدتني أملّكه رقّي [٦] ، وأبثه باطلي وحقي[٧] ، فإن كان محمود الخلائق [٨] ، مأمون البوائق [٩] ، فقد أدركت بغيتي ، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتي ، على أنه لا ينبغي إلا أن يكون كفؤا كريما، يسود عشيرته ، ويرّب فصيلته [١٠] ، لا أتقنع به عارًا في حياتي[١١] ،

---

(١) الشعار ما يلبس على الجلد مباشرة ،وأصرد : أشعر بالبرد (أَبْرَد) .

(٢) لما عناني كاف : يكفيني تحمل ما أعاني منه فيتحمله عني .

(٣) ولما شفّني : أسقمني وضمرني وأنحل جسمي .

(٤) لايمل قرانه : لا تمل النفس ملازمته والاقتران به .

(٥) لا يخاف حرانه : لا تخشى مخالفته ومعاندته وتصلبه .

(٦) أملكه رقي : أجعله لي سيدًا وأنا له رقيق (أمة) .

(٧) باطلي وحقي : كل ما يجول بخاطري ونفسي من صواب أو خطأ (لا أخفى عنه شيئًا).

(٨) محمود الخلائق : مشكور الطباع والأخلاق .

(٩) مأمون البوائق : البوائق الشرور ، أي أنه مسالم لا يأتي من جانبه الشر .

(١٠) يرب فصيلته : يرعى شؤون من تولى أمرهم .

(١١) لا أتقنع به عارًا : لا يكسوني خزيا أو عارًا .

ولا أرفع به شنار قومي بعد وفاتي. فعليكنّه فابغينه[١] ، وتفرقن في الأحياء، فأيتكنّ أتتني بما أحبُّ فلها أجزل الحباء [٢] ، وعليّ لها الوفاء .

فخرجن فيما وجهتهنّ له ، وكنّ بنات مقاول [٣] ذوات عقل ورأى .

فجاءتها إحداهن ، فقالت : قد أصبت البغَية [٤] ، فقالت صفيه ولا تُسَمِّيه.

فقالت : غيث في المحل [٥] ، ثمال في الأزل [٦] ، مفيد مبيد ، يصلح الثائر، وينعش العاثر [٧] ، ويغمر الندى [٨] ، ويقتاد الأبى [٩] ، عرضه وافر[١٠]، وحسبه باهر، غصن الشباب ، طاهر الأثواب [١١] .

قالت فمن هو ؟ فَسَمّته لها .

ثم خلت بالثانية : فقالت : أصبت من بغيتك شيئًا ؟

قالت : نعم . قالت : صفيه ولا تسميه .

---

(١) فعليكنه فابغينه : عليكن بطلبه فابحثن عنه .

(٢) أجزل الحباء : الحباء : ما تحبو به الغير (تهديه إليه) .

(٣) بنات مقاول : بنات حكام وملوك (جميع قيل وهو ما دون الملك الأعظم).

(٤) البغية : الطلب أو المطلب .

(٥) غيث في المحل : كأنه المطر في زمن الجدب .

(٦) ثمال في الأزل : مال يغني في وقت شدة الزمان (وهي الأزل) .

(٧) ينعش العاثر : يقيل من سقط ، فيدفعه إلى الحياة بمعاونته إياه .

(٨) يغمر الندى : الندى : النادي والمجلس ، (إذا دخل غطى على الحاضرين) .

(٩) يقتاد الأبى : لا يستعصى عليه أحد ، فهو يغلب الأباة ، ويقتادهم أمامه .

(١٠) عرضه وافر : سيرته محمودة ، وعرضه سليم لم يمس أو يعاب .

(١١) طاهر الأثراب : كناية عن العفاف ، والبعد عن الفواحش .

فقالت : مصامص النسب [١] ، كريم الحسب ، كامل الأدب ، غزير العطايا، مألوف السجايا ، مقتبل الشباب ، خصيب الجناب [٢] ، أمره ماض، وعشيره راض .

قالت : ومن هو ؟ فَسَمته لها .

ثم خلت بالثالثة : فقالت : ما عندك ؟ قالت : وجدته : كثير الفوائد، عظيم المرافد [٣] ، يعطي قبل السؤال ، وينيل قبل أن يستنال [٤] في العشيرة معظم، وفي النَّدِيّ مكرم ، جم الفواضل ، كثير النوافل ، بذال أموال ، محقق آمال، كريم أعمام وأخوال .

قالت : ومن هو ؟ فسمته لها .

فاختارت من جاءت به الثانية فتزوجته ، فاحتجبت عن نسائها ثم برزت لهن ، فأجزلت لهن الحباء ، وأعظمت لهن العطاء .

---

(١) مصامص النسب : خالص النسب نقيه .

(٢) خصيب الجناب : (الجناب : الناحية) ويقال أنا في جنابه (في كنفه ورعايته) فهو يكرم في كنفه .

(٣) عظيم المرافد : الرافد : جمع مرفد ، وهو المعونة ، فهو عظيم العون لغيره .

(٤) يستنال : يُطلب جوده ونواله ، أي أنه يعطي قبل أن يسأل .

١٠ ـ بَلاَغَةُ مُحْتَاج

بينما الناسُ في المسجد ، إذ وقف عليهم أعرابيٌّ ، فقال : يا مسلمون، إن الحمد لله ، والصلاة على نبيه .

إني امرؤ من أهل هذا الملطاط (١) الشرقي المواصي (٢) أسياف تهامة (٣) عكفت على سنون مُحْش (٤) ، فاجتَبّت الذرى (٥) ، وهشمت العرى(٦)، وجَمَشت النجم (٧) ، وأعجت البُهْم (٨) ، وهمّت الشحم (٩) ، والتحبت اللحم (١٠) ، وأصحنت العظم (١١) ، وغادرت التراب موراً (١٢) ، والماء غوراً، والناس أوزعًا (١٣) ، والنُّبط قُعَاعًا (١٤) ، والصنهل جزاعا (١٥) ،

(١) الملطاط : مكان أشد انخفاضا من الغائط (وهو المنخفض من الأرض) وأوسع منه ، وقالوا : كل شفير نهر أو واد .

(٢) المواصي : هو كالمواصل ، يقال : تواصى النبات إذا اتصل بعضه ببعض .

(٣) أسياف تهامة : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .

(٤) أقامت علينا سنين جدب محش تمحش الكلأ أي : تُحرقه .

(٥) قطعت واستأصلت أعالينا .

(٦) تسرت وهشمت عُرانا (والعروة : القطعة من الشجر الذي لا يزال باقيا في الأرض مع الجدب) .

(٧) حَلقَت وقطعت مالا ساق له من النبات (وهو النجم) .

(٨) جعلت البهائم عجايا سيئة التغذية مهزولة .

(٩) أذابت الشحم (العرب تقول : هَمّك ما أهمك ، أي : أذابك وأحزنك) .

(١٠) عرقته وأزالته عن العظم .

(١١) عوّجت العظام فجعلتها كالمحجن (والمحجن كل معوجّ الرأس) .

(١٢) المورُ : الذي يجيء ويذهب ، والمور : الغبار بالريح .

(١٣) فرقا متناثرين .

(١٤) جعلت الماء الذي يخرج من البئر أول حفرها ملحًا مرًا .

(١٥) والقليل من الماء جزاعا : أشد المياه مرارة .

والمقام جَعْجَاعًا [١] ، يُصبّحنا الهادي ، ويطرقنا العادي [٢] فخرجت لا أتلفع بوصيدة [٣] ، ولا أتقوّت هبيدة [٤] ، فالنجصات وقعه [٥] ، والركياتُ زَلِقَة[٦]، والأطراف قفعَة [٧] ، والجسم مُسْلَهِمّ [٨] ، والنظر مدَرهِمّ [٩] ، أعَسوا فأغطَسُ [١٠] ، وأضحى فأخفش [١١] ، أُسْهِلُ طالعًا [١٢] ، وأحزنُ راكعًا [١٣]، فهل من آمر بمير [١٤] ، أوداع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر [١٥] ، وسوء الموارد ، وفضوح الصادر.

قال من روى هذا الكلام : فأعطيته ديناراً ، وكتبت كلامه ، واستفسرته مالم أعرفه .

---

(١) المقام الجعجاع : مالا تطمئن إذا جلست عليه ، أي جعلت إقامتهم غير مستقرة .

(٢) يطرق بيوتنا الذئب الجائع .

(٣) لا أجد أي شيء من نسيج أتلفع به .

(٤) لا أجد حتى حبّ الحنظلْ (وهو الهبيد) لأقتات به .

(٥) فياطين قدمي (وهو النجصات) يشتكي من شدة الألم من طول المشي فهو (وقع) .

(٦) والركية متشققة (زلعة) .

(٧) والأطراف قد يبست وتقفعت (تعوجت) .

(٨) والجسم ذابل كأنه مدبر عن الحياة .

(٩) والنظر ضعيف من شدة الجوع والمرض .

(١٠) أحدد النظر لأرى ، فأجد نفسي أغطس ضعيف البصر .

(١١) فإذا جاء الضحل أصابني الخفش ، وهو ضعف الرؤية في الضوء الشديد .

(١٢) إذا مشيت في السهول لم أقدر وأصابني العرج .

(١٣) وإذا علوت المرتفع من الأرض (يسمى الحَزْن) كبوت على وجهي .

(١٤) فهل من يأمر بعطية أو ميرة أو زاد .

(١٥) قدرة الكاهر (والطاهر والقاهر واحد) وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ **فأما اليتيم فلا تكهر**﴾.

(*) ما أبلغه إذا يتحدث بهذه الطلاقة بالرغم مما يشكو ، ولله در العربية إذ تنطلق على ألسنة أبنائها درًّ نضيدًا وإن كانوا يعانون ضنك العيش . المؤلف .

١١ ـ نبوآت الحسَان

كان مَصادر بن مذعور القيني رئيسًا قد أخذ مرباع (*) قومه دهـرًا ، وكان ذا مال ، فند (١) ذود من أذواد لـه (٢) فخـرج في بغائهـا (٣) قـال : فإني لفي طلبها إذ هبطت واديًا شجيرًا كثيف الظلال ، وقد تفسخت أينا (٤) ، فأنخت راحلتي في ظل شجرة، وحططت رحلي، ورسغت بعيري (٥) ، واضطجعت في بردي ، فإذا أربع جوارٍ كأنهن اللآلي يَرْعَيْن بُهمًا لهنّ ، فلما خالطت عيني السنة (٦) أقبلن حتى جلسْنَ قريبًا مني ، وفي كف كل واحدة منهن حصيات تقلبهن .

فحطت إحداهن ثم طرقت فقالت : قلن يا بنات عراف في صاحب الجمل النياف (٧) ، والبرد الكثاف، والجرم الخُفاف ..

ثم طرَقت الثانية فقالت: مضل أذواد عُلاكدٍ(٨)، كُوم صلاخد(٩) منهن

(*) المرباع : ربع الغنيمة .

(١) ند : شرد ، وابتعد .

(٢) الذود : جمعه أذواد ، هو القطيع من الإبل بين الثلاث والعشر ، والعرب تقول : الذود إلى الذود إبل .

(٣) في بغائها : في طلبها لإرجاعها .

(٤) تفسخت أينا : تفسختَ إعياءً وتعبا .

(٥) رسغت بعيري : شددت رسغه بحبل .

(٦) السِّنة : حال بين اليقظة والنوم تنكسر فيها العين ويتدلى الجفن .

(٧) الجمل النياف : العالي .

(٨) علاكد : صلاب ذوات قوي .

(٩) كوم صلاخد : الكوم : العظيمة الأسنمة ، والصلاخد : العظام الشداد .

ثلاث مقاصد [١] ، وأربع جَدَائد [٢] شُسُف صَمَارد [٣] .

ثم طرقت الثالثة ، فقالت: رعين الفرع[٤]، ثم هبطن الكَرَع [٥] بين العقدات والجرع [٦] .

فقالت الرابعة منهن : ليهبط الغائط الأفيح [٧] ، ثم ليظهر في الملا الصحصح [٨] بين سدير وأملح [٩] ، فهناك الذود رتاع بمنعرج الأجرع [١٠] .

قال : فقمت إلى جملي فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ما سألتهن من هن و لا ممن هنّ .

فلما أدبرتُ قالت إحداهن : أبرح فتىً إن جدّ في طلب ، فما له غيرهن نشب [١١] ، وسيئوب عن كثب [١٢] . ففزع قلبي والله قولها ، فقلت : وكيف هذا وقد خلَّفتُ بوَادِيّ عرجا عكامسا [١٣] ، فركبت السمت الذي وُصِف لي ، حتى انتهيت إلى الموضع ، فإذا ذودي رواتع ، فَضربت أعجازهن حتى أشرفت على الوادي الذي فيه إبلي ، فإذا الرعاء تدعو

(١) مقاصد : عظيمات الأسنمة .

(٢) جدائد : انقطع لبهن .

(٣) شسف صَمَارد : شسف : ضامرات ، وصمارد : قليلات الدهن واللبن .

(٤) رعين الفرع : رعين أعالي الجبال .

(٥) الكرع : ما تشرب منه الماشية وتكرع من ماء المطر المتجمع في مستنقع .

(٦) العقدات : ماانعقد من الرمل .

(٧) الغائط الأفيح : المطمئن (المنخفض) من الأرض ، الواسع .

(٨) الملا الصحصح : الملا : الفضاء ، الصحصح : الصحراء .

(٩) سدير وأملح : موضعان بتلك الناحية .

(١٠) الأجرع والجرعاء : دعص لا ينبت شيئًا . (والدعص : الرمل المتجمع) .

(١١) نشب : مال يقتنيه .

(١٢) عن كثب : عن قريب .

(١٣) عَرْجًا عُكامسا : العرج :نحو خمسمائة من الإبل . والعُكامس : الكثير .

بالويل، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : أغارت بهراء على إبلك فأسحفتها [١] وأمسيت والله ، مالي مال غير الذود ، فرمى الله في نواصيهن بالرغّس [٢] ، وإني اليوم لأكثر بني القين مالاً ، وفي ذلك أقول :

هُوَ الدَهْرُ ، آسٍ تَارةً ثُم جَارِحُ ... سَوَانُـــحهُ مبثـــوثةٌ والبَوَارِحُ
فبينا الفَتى في ظِلّ نَعْماء غَضَّةٍ ... تباكـــره أفيـــاؤُهُ وتُرَاوِحُ
إلى أنْ رمَتْه الحادثات بنكبَةٍ ... تضيق به منها الرحابُ الفسائح
فأصبح نضواً لا ينوءُ ، كأنّماَ ... بأعظـــمه ممـــا عَرَاه القَوَادحُ [٣]
مما خلتني من بعد عَزْج عُكَامس ... أُقَسِّسُ أذوادًا وهن رَوَازح [٤]
حَدَابيرُ ما يَنهَضن إلا تحامُلا ... شواسف عُوُج أسادتها الجوائح [٥]
فيا واثقًا بالدهر كن غيرَ آمن ... لمَا تنتضيه الباهظات الفوادح [٦]
فَلَسْتَ على أيامه بِمُحـكَّم ... إذَا فَغَرَتْ فاها الخطوب الكوالح [٧]
مُجيرُك منه الصبّر إن كنت صابراً ... وإلا كما يُهْوى العَدُو المكاشح [٨]

---

(١) أسحفتها : استأصلتها عن آخرها .
(٢) الرُّغس : البركة والنماء .
(٣) عراه : أصابه ، والقوادح (جمع قادحة) : وهي العيب في العود والسِنّ
(٤) أقسّسَ : أتبع ، روازح : ساقطات من الهزال .
(٥) الحدابير : التي قد تقوست من الهزال ، واحدها حدبار .
(٦) تنتضيه : تخرجه وتظهره ، كما يقتضي السيف من غمده .
الفوادح : جمع فادح : وهو ما أبهظ من الخطوب.
(٧) الكوالح ؛ جمع كالح ،وهو الباسل الوجه الكريه .
(٨) المكاشح : المعادي .

١٢ ـ الآن طابَ له الموتُ

كان لرجل من مَقَاول [١] حمير ابنان : يقال لأحدهما عمرو ، وللآخر ربيعة، وكانا قد برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشفى على الفناء ، دعاهما ليبلو عقلهما [٢] ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا قال لعمرو ـ وكان أكبر الأخوين .

أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك .

قال : السيِّد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد، الرفيع العماد [٣] ، العظيم الرماد [٤] ، الكثير الحساد ، الباس الذوّاد[٥]، الصادر الورّاد.

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : ما أحسن ما وصف ، وغيره أحب إليّ منه.

قال : ومن يكون بعد هذا ؟

قال: السيد الكريم ، المانع للحريم، المفضال الحليم ، القَمُقام الزعيم[٦]،

---

(١) المقاول : جمع قيل ، وهو من دون الملك الأعظم في حمير.

(٢) ليبلو عقلهما : ليختبر مقدار ذكاء عقولهما .

(٣) الرفيع العماد : العالي البناء ، وعلوّ البناء علامة شرف .

(٤) العظيم الرماد : كناية عن كرمه ، وكثرة طبخه لإطعام الأضياف .

(٥) الباس : الشجاع (وأصلها كراهة شكل الوجه عند شدة الحرب فأصل الباس : الكريه الشكل) .

الذوّاد : المحامي المدافع عن أهله وماله .

(٦) القمقام : السيد الجامع للسيادة الواسع الخير .

الذي إن همّ فَعَل ، وإن سُئل بَذَل .

قال : أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك .

قال : البرَم اللئيم [١] ، المستخذي للخصيم [٢] ، المبطان النهيم [٤] ، العيى البكيم[٤]، الذي إن سُئِلَ مَنَع ، وإن هُدِّد خَضَع ، وإن طلب جَشِع .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : غيره أبغض إليّ منه .

قال : ومن هو ؟

قال : النؤوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصِّدام .

قال : أخبرني يا عمرو ، أي النساء أحبُّ إليك ؟

قال : الهركولة اللفاء [٥] ، المكمورة الجيداء[٦]، التي يشفي السقيمُ كلامها ، ويبرئ الوَصِب إلمامها [٧] ، التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعتبتها أعتبت [٨] ، الفاترة الطرف [٩] ، الطفلة

---

(١) البرَم اللئيم : الذي يضيق بمن يقصده ، الوضيع الأصل .

(٢) المستخذي للخصيم : الخاضع الذليل لخصمه .

(٣) المبطان النهيم : الأكول الذي به نهم إلى الطعام .

(٤) العيى البكيم : العاجز عن النطق الصواب كأن به بكم .

(٥) الهركولة اللفاء : الملتفة الجسم .

(٦) المكمورة : المطويّة الخَلْق ، الجيداء : طويلة العنق .

(٧) يبرئ الوصب إلمامها : إذا اقتربت من التَّعِب أزالت عنه تعبه .

(٨) إن استعتبتها أعتبت : إن طلبت منها الصفح صفحت ولم تلج في الخصومة .

(٩) الفاترة الطرف : التي في عينها لين وانكسار كأن بهما فتور نوم .

الكف [١] ، العميمة الردف .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : نعت فأحسن ، وغيرها أحبُّ إليّ منها .

قال : ومن هي ؟

قال : الفتانة العينين ، الأسيلة الخدين ، الكاعُب الثديين ، الرداح الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام ، الجماء العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قال : فأيّ النساء إليك أبغض يا عمرو ؟

قال : الفتانة الكذوب ، الظاهرة العيُوب ، الطوافة الهبوب [٢]، العابسة القطوب ، السبَّابة الوثوب ، التي إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : بئس والله المرأة ذكر ، وغيرها أبغض إليّ منها .

قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟

قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالهتان التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته ، وإن ناطقها انتهرته .

قال (ربيعة) وغيرها أبغض إليّ منها.

قال : ومن هي ؟

---

(١) الطفلة الكف : ذات الكف الخصب الناعم الرخص .

(٢) الطوافة الهبوب : التي لا تستقر في دارها ، وتحب الطواف بالبيوت .

قال : التي شقِىَ صاحبها ، وخزي خاطبها ، وافتضح أقاربها .

قال : ومن صاحبها ؟

قال : مِثلها في خصالها كلها ، لا تصلح إلاّ لَهُ ولا يصلح إلا لها .

قال : فَصِفْهُ لي .

قال : الكفور غير الشكور ، اللئيم الفجور ، العبوس الطالح ، الحروف الجامح ، الراضي بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان[1]، الفؤول غير العقول [2] ، الملول غير الوصول الذي لا يرعُ عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال : أخبرني يا عمرو ، أي الخيل أحبّ إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتجالد ؟

قال : الجواد الأنيق ، الحِصان العتيق ، الكفيت العريق [3] ، الشديد الوثيق، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طَلَب .

قال : نعم الفرس والله نعتّ فما تقول يا ربيعة ؟

قال : غيره أحبّ إليّ منه .

قال : وما هو ؟

قال : الحصان الجواد ، السلس القياد ، الشهم الفؤاد ، الصبور إذا سَرَى، السابق إذا جَرَى .

قال : فأىّ الخيل أبغض إليك يا عمرو ؟

---

(١) جعودة البنان : كناية عن عدم انبساط اليد بالجود .

(٢) الفؤول : الذي يتفاءل بأكثر مما يشير إليه الواقع ، ويرضاه العقل .

(٣) الكفيت : الضامر الخفيف .

قال : الجموح الطموح ، النكول الأنوح [١] الصئول الضعيف [٢] ، الملول العنيف، الذي إن جاريته سبقته ، وإن طلبته أدركته .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : غيره أبغض إليّ منه .

قال : وما هو ؟

قال : البطيء الثقيل ، الحرون الكليل ، الذي إن ضربته قَمَص ، وإن دنوت منه شمس ، يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويقطع بالصاحب .

قال (ربيعة) : وغيره أبغض إليَّ منه .

قال : وما هو ؟

قال : الجموح الخبوط [٣] ، الركوض الخروط [٤] ، الشموس الضّروط، القَطوف في الصعود والهبوط ، الذي لا يسلم الصاحب، ولا ينجو من الطالب .

قال : أخبرني يا عمرو ، أيّ العيش ألذّ ؟

قال : عيش في كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتباق مدامه [٥] .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : نعم العيش والله وَصَفَ ، وغيره أحبُّ إليّ منه .

---

(١) النكول : المتراجع ، الأنوح : الذي يتنفس بأنين من ثقل يجده من مرض أو تعب .

(٢) الصئول الضعيف : شديد الهياج مع ضعف .

(٣) الجموح الخبوط : الذي يجمح ويخبط الأرض برجليه الأماميتين (يديه) .

(٤) الخروط : التهوّر الذي يركب رأسه .

(٥) اغتباق مدامة : شرب خمر في الغبوق (وهو الشراب في المساء) .

قال : وما هو ؟

قال : عيشٌ في نعيم ، وعزّ وغنيً عميم ، في ظل نجاح ، وسلامة مساءٍ وصباح ،وغيره أحب إليّ منه .

قال : وما هو ؟

قال : غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم .

قال : فما أحبّ السيوف إليك يا عمرو ؟

قال : الصقيل الحسام ، الباتر المجذام ، الماضي السطام [١] ، المرهف الصمصام ، الذي إذا هزته لم يكْبُ ، وإن ضربته لم ينْبُ [٢] .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : نعم السيف نَعَتَ ، وغيره أحبُّ إليّ .

قال : وما هو ؟

قال : الحسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمآن الجائع [٣] ، الذي إذا هززته هتك [٤] ، وإذا ضربت به بتك [٥] .

قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟

قال: الفطار الكهام[٦] الذي إن ضرب لم يقطع، وإن ذبح به لم ينخع[٧].

(١) الماضي السطام : القاطع الحادّ .

(٢) لم ينب : يقال نبا السيف إذا لم يصب ما ضرب به .

(٣) الظمآن الجائع : كناية عن عطشه وجوعه إلى دماء الأعداء ولحومهم .

(٤) هتك : قطع ومزّق .

(٥) بتك : شق وقطع .

(٦) الفطار الكهام : الفطار : غير المصقول فلا يقطع ، والكهام : البطيء عن النصرة .

(٧) لم ينخع : لم يبالغ في الذبح والقطع .

قال : فما تقول يا ربيعة ؟

قال : بئس السيف والله ذكر ، وغيره أبغض إليّ منه .

قال : وما هو ؟

قال : الطبع الددان [1] ، المعضد المُهان .

قال : فأخبرني يا عمرو ، أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر الباس [2] ، واشتجر الدعاس [3] ؟

قال : أحبها إليّ المارن المثقف [4] ، المقوّم المخطف ، الذي إذا هززته لم ينعطف ، وإذا طعنتَ به لم ينقصف .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : نعم الرمح نعت ، وغيره أحبُّ إليّ منه .

قال : وما هو ؟

قال : الذابل العسال [5] ، المقوّم النسّال [6] ، الماضي إذا هززته ، النافذ إذا همزته .

قال : فأخبرني يا عمرو ، عن أبغض الرماح إليك .

قال : الأعصل عند الطعان ، الثلّم السنان ، الذي إذا هززته انعطف ، وإذا طعنتَ به انقصف .

---

(١) الددان : الذي لا يقطع ، المعضد : القصير الذي يمتهن في قطع الأشجار وغيرها .

(٢) اعتكر الباس : اشتد القتال .

(٣) اشتجر الدعاس : الدعاس : الطعان ، والمعنى : تشابكت الرماح كأنها الشجر المتداخل.

(٤) المارن المثقف : المستقيم المعتدل .

(٥) العسال : الشديد الاضطراب إذا هززته .

(٦) والنسال : قريب من العسال .

قال : ما تقول يا ربيعة ؟

قال : بئس الرمح ذكر ، وغيره أبغض إليّ منه.

قال : وما هو ؟

قال : الضعيف الهزّ ؟ اليابس الكزّ ، الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقسم .

قال :أنصرفا ، الآن طاب لي الموت .

١٣ ـ أيها يَختارون

قالوا : أجدبتْ بلادُ مَذْحج ، فأرسلوا روّاداً [١] من كُلِّ بطنٍ رجلا ، فبعثت بنو زبيد رائداً ، وبعثت النخع رائداً ، وبعث جُعفيّ رائداً ، فلما رجع الرواد :

قيل لرائد بني زبيد : ما وراءك ؟

قال : رأيت أرضًا موشمة البقاع [٢] ، ناتحة النقاع [٣] ، مستحلسة الغيطان [٤] مناصكة القريان [٥] ، واعدة وأمر بوفائها ، راضية أرضها عن سمائها .

وقيل لرائد جعفيّ : ما وراءك ؟

قال : رأيت أرضا جمعت السماء أقطارها ، فأمرعت أصبارها [٦] ، وديثت أوعارها [٧] ، فبطنانها غمقة [٨] ، وظهرانها غدقة [٩] ، ورياضها

(١) الرواد ، جمع رائد ، وهو من يبعث من قبل القوم يستوثق لهم الأمر ويستطلع الأخبار ويعود إليهم بالخبر الصواب (والرائد لا يكذب أهله) .

(٢) يقال أوشمت الأرض إذا بدا فيها نبت (وأوشمت السماء إذا بدا فيها برق) .

(٣) الناتحة : الراشحة .

(٤) المستحلسة : التي قد غطت الأرض بنباتها .

(٥) القريان : (واحدها قَرِيٌّ) : مجاري الماء إلى الرياض .

(٦) أمرعت : أعشبت وطال نباتها ، والأصبار : نواحي الوادي (ما علا منه) .

(٧) ديثت : ليّنت : والأوعار : جمع وعر ، وهو الغلظ الخشن .

(٨) البطنان : جمع بطن ، وهو ما غمضَ من الأرض . وغمقة : ندية .

(٩) الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيراً . وغدقة : كثيرة البلل والماء .

مستوسقة [١] ، ورقاقها رائخ [٢] ، وواطئها سائخ [٣] ، وماشيتها مسرور[٤]، ومصرّمها محسور [٥].

وقيل للنخعي : ما وراءك ؟

فقال : مداحي سيل [٦] ، وزهاء ليل [٧] ، وغيل يواصي غيلا [٨] ، قد ارتوت أجرازها [٩] ، ودمثت عَزازها [١٠] ، والتبدت أقوازها [١١] ، فرائدها أنق [١٢] ، وراعيها سَنِقٌ [١٣] ، فلا قضض [١٤] ولا رمص [١٥] ، عازبها لا

(١) مستوسقة : منتظمة .

(٢) الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، والرائخ: المفرط في اللين .

(٣) وواطئها سائخ : من يطأ أرضها تسوخ رجلاه فيها للينها . (تسوخ وتثوخ واحد) .

(٤) ماشيها : صاحب الماشية فيها .

(٥) المصرّم : المقلّ المقارب المال .

(٦) مداحي سيل : أرض مدحوة قد دحاها (بسطها السيل) .

(٧) زهاء ليل : الزهاء الشخص : ولشدة خضرة نباتها وميله إلى السمرة شبه بأشخاص في الليل .

(٨) الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض . ويواصي : يواصل ، ويتصل بـ .

(٩) الأجراز : الأرض التي لم يصبها المطر (ويقال : التي أُكل نباتها) .

(١٠) دمثت عزازها : لينت الأجزاء الصلبة منها (العزاز : الصلب السريع السيل).

(١١) التبدت : تماسكت كاللبد . والأقواز : (جمع قوز) ، وهو : الرمل الناعم يستدير كالهلال .

(١٢) رائدها أنق : من يرتادها يُعْجب بمراعيها .

(١٣) وراعيها سنق : من يرعى (أما يرعى) يجد الأكل حتى يصيبه البشم من كثرة المرعى.

(١٤) القضض : الحصى الصغار ، والقض الحصى الصغير (يقال : جاءوا بقضهم وقضيضهم : جاءوا بالصغار وبالكبار) .

(١٥) والرمص : أن يحمل الحصى والحجارة وتسخن من شدة الحرّ (فليس هناك رمص لأن النبات قد غطى سطح الأرض) .

يفزع [١] ، ووارِدها لا ينكع [٢] .

فاختاروا مراد [٣] النخعي.

(١) عاربها : الذي يعزب بإبله أي يذهب بعيداً في المرعى .
(٢) لا ينكع : من يروها ليرعى لا يجد من يمنعه.
(٣) مَرَاد : المكان الذي ارتاده ثم رجع فأخبرهم بما فيه .

١٤ - جَوَارٍ يَصِفْنَ خَيْلاً

اجتمع خمس جوارٍ من العرب ، فقلن : هَلُمْنَ نصف خيل آبائنا :
فقالت الأولى :

فرس أبي وردة ، وما وردة ، ذات كفل مزحلقٍ [١] ، ومتن أخلق [٢] ، وجوف أَخْوَق [٣] ونفسٍ مروح [٤] ، وعين طروح [٥] ، ورِجل ضروح [٦] ، ويد سبوح [٧] ، بَدَاهَتها إهْذاب [٨] ، وعَقَبُها غِلاب [٩] .

وقالت الثانية :

فرس أبي اللعاب ، وما اللعاب ، غَبْيَة سَحَاب [١٠] ، واضطرامُ غاب[١١]، مُتَرصُ الأوصال [١٢] ، أشم القذال [١٣] ، مَلاَحَك المَحال [١٤]،

(١) المزحلق: المملّس الناعم ، كأنه زحلوقة (وهي آثار تزحلق الصبيان من أعلى إلى أسفل).
(٢) المتن : الظهر ، والأخلق : الأملس (ومنه قيل : صخرة خلقاء : ملساء) .
(٣) جوف أخوق : جوف واسع (والخوقاء : الصحراء التي لا ماء بها ، ويقال : الواسعة).
(٤) نفس مروح : كثيرة المرح .
(٥) وعين طروح : بعيدة موقع النظر (نظرها قويّ) .
(٦) ورجل ضروح : رجل قوية تدفع الحجارة بحوافرها إذ عَدَتْ مسرعة .
(٧) يد سبوح : كأنها تسبح ، تمد رجليها الأماميتين إذا جرت كأنما تسبح في الهواء .
(٨) بداهتها إهذاب : البداءة الفجاءة ، والإهذاب : السرعة .
(٩) وعقَبُها غِلاب : العقب : الجرى بعد الجرى . والغلاب : مغالبة (كأنها تغالب الجري).
(١٠) غَبْيَة سحاب : دفعة من المطر تسقط من سحابة .
(١١) اضطرام غاب : إذا تحركت كانت كالأجمة (تستجر الكثير إذا اضطرب) .
(١٢) مترص الأوصال : مترص : محكم ، والأوصال : الأطراف .
(١٣) أشم القذال : أشم : مرتفع ، والقذال : مؤخر الرأس .
(١٤) ملاحك المحال : ملاحك : متداخل بعضه في بعض . والمحال : فقار الظهر .

فارسه مجيد ، وصيده عنيد (١) ، إن أقْبَلَ فظبي مَعَّاجٌ (٢) ، وإن أدبر فظليم هداج (٣) ، وإن أحضر فعلج هرّاج (٤) .

وقالت الثالثة :

فرس أبي حُذْمة وما حذمة (٥) ، إن أقبلت فقناة مقومة (٦) ، وإن أدبرت فأثفية ململمة (٧) ، وإن أعرضت فذئبة مَعَجْرَمَة (٨) ، أرساغها مترصة(٩) وفصومها ممحّصة (١٠)، جَرْيها انثرار (١١) ، وتقريبها انكدار (١٢).

وقالت الرابعة : فرس أبي خَيْفَقُ (١٣) ، وما خَيْفَقُ ! ذات ناهق

---

(١) صيده عنيد : صيده حاضر مضمون .

(٢) ظبي معاج : يعض على ناحية اليمين من العنان مرة وعلى ناحية الشمال مرة (معج: أسرع).

(٣) ظليم هاج : الظليم : ذكر النعام ، الهدّاج : المشي الرويد (ويكون السريع) .

(٤) علج هراج : العلج : الحمار الغليظ ، هراج : كثير الجري .

(٥) حُذْمَة : سريعة ، والحَذْم : السرعة ، والحُذم : القطع .

(٦) القناة المقومة (هي قناة الرمح المستقيمة) وهي تريد أنها دقيقة المقدم (الصدر) وهو مدح في الإناث .

(٧) الأثفية : قطعة الصخر أو الحجر توضع عليها القدر ، وململمة : مجتمعة (تريد أنها مدوّرة الآخِر ، لأن الأثافي تختار مدوّرة) .

(٨) معجرمة : من العجرمة ، وهي وثب كوثب الظبي (تصفها بأنها ذئبة تثب وثب الظبي).

(٩) أرساغها (جمع رسغ : مفصل ما بين الكف والساعد ، مترصة) .

(١٠) ممحصة : قليلة اللحم ، (والفرس يمتدح بضموره لا بكثرة لحمه) .

(١١) جَرْيها انثرار : الانثرار : انصباب ، كأنها نثر الجري نثراً .

(١٢) تقريبها: التقريب نوع من الجري توضع فيها الرجلان في مكان اليدين عن الجري .

(١٣) خيفق : من الخفق وهو السرعة (وهو أيضا : اضطراب السراب في الهاجرة).

معرق[١] ، وشدق أشدق [٢] ، وأديم مُمَلَّق [٣] ، لها خَلْق أشْدَفُ [٤] ، ودسيع مُنَفْنَف [٥] ، وتليلُ مسيّف [٦] ، وثّابة زلوج [٧] ، خَيْفَانَة رهوج [٨] ، تقريبها إهماج [٩] ، وحَضْرُها ارتعاج [١٠].

وقالت الخامسة :

فرس أبي هذلول، وما هذلول! طَرِيْدُهُ مَحْبول[١١]، وطَالِيه مَشكول[١٢]، رقيق الملاغم [١٣] ، أمين المعاقم [١٤] ، عَبْل المحزم [١٥] ، مَخَدٌّ مِرْجَمٌ [١٦] ،

---

(١) الناهق : عظم الخدّ ، والمعرق : القليل اللحم .

(٢) شدق أشدق : شِدق واسع .

(٣) وأديم مملق : الأديم : الجلد ، المملق : المملس الناعم .

(٤) لها خلق أشدف : هيئتها عظيمة الخِلقة .

(٥) ودسيع منفنف : الدسيع مركب العنق في الحارك ، والمنفنف : الواسع .

(٦) تليل مسيف : التليل : العنق ، والمسيف : كأنه السيف .

(٧) زلوج : سريعة (الزَّلج والزَّلجان : السرعة) .

(٨) خيفانة رهوج : الخيفانة : الجرادة ، والرهوج : مثيرة للغبار .

(٩) التقريب : ضرب من الجرى ، والإهماج : المبالغة في العدو .

(١٠) حضرها : سرعة جريها ، ارتعاج : كثرة البرق وتتابعه .

(١١) طريده محبول : الطريد : الصيد أو العدو ، محبول : واقع في حباله (يدركه ولابد).

(١٢) طاليه مشكول : ما يطليه الفرس وراكيه ، مشكول: موثق في شكال .

(١٣) رقيق الملاغم : أراد بالملاغم الجحافل ، وإنما الملاغم في الإنسان : ما حول فمه .

(١٤) أمين المعاقم : قوي المفاصل .

(١٥) عبل المحزم : العبل : الغليظ الممتلئ (ومنه عبلة) .والمحزم : موضع الحزام .

(١٦) مخدّ : يحفر في الأرض أخاديد إذا جرى ، المِرْجم : الذي يرجم الحجر بالحجر أثناء جريه .

منيف الحارك [١] ، أشم السنابك [٢] ، مجدول الخصائل [٣] ، سبط الغلائل[٤]، غَوّجُ التّليل [٥] ، صلصال الصّهيل [٦] ، أديمه صاف [٧] ، وسَيبه ضاف [٨] ، وعَفْوَه كاف [٩] .

---

(١) منيف الحارك : المنيف : المرتفع ، الحارك : منسج الفرس .

(٢) أشم السَنابك : الأشم : المرتفع ، السنابك : أطراف الحوافر .

(٣) مجدول : مفتول ، الخصائل : لفائف الشعر (أو قطع اللحم) .

(٤) سبط الغلائل : السبط : المرسل الممتد ، الغلائل : جمع غلالة وهو ما يلبس تحت الدثار.

(٥) غوج : الغوج الذي يَتَثنى : يذهب ويجيء ، التليل : العنق .

(٦) صلصال الصهيل : لصهيله صلصلة ورنين .

(٧) أديمه صاف : جلده رائق اللون .

(٨) سيبه ضاف : السَّيَبُ : شعر الناصية ، ضاف : سابغ .

(٩) عفوه كاف : العفو : خيار كل شيء وأجوده .

١٥ ـ وَصَفْن له ... وأَجَابَهُنّ

أغار قومٌ على قومٍ من العرب ، فقتل منهم عدةٌ نفر ، وأفْلَتَ منهم رجل، فَتَعَجَّلَ على الحيّ ، فلقيه ثلاث نسوة يسألن عن آبائهن ، فقال: لتصف كلٌ واحدة منكن أباها على ما كان [١] .

فقالت إحداهن : كان أبي على شقاء مقّاء [٢] ، طويلة الأنقاء [٣] ، تمطق أشياها بالعَرَق [٤] ، تمّطق الشيخ بالمرَقِ .

فقال : نجا أبوك .

فقالت الأخرى : كان أبي على طويل ظهرها ، شديد أسرها [٥] ، هاديها شطرها [٦] .

فقال : نجا أبوك .

فقالت الأخرى : كان أبي على كزّة أنوح [٧] ، يُرويها لبن اللّقُوح .

قال : قتِلَ أبوك .

فلما انصرف الفلّ [٨] أصابوا [٩] الأمر كما ذكر .

(١) أي على أي دابة (فرس أو غيره) .

(٢) الشقاء : الطويلة ، وكذلك المقاء ، والمقق الطول ، ورجل أشق أمق .

(٣) طويلة الأنقاء : العظام ، والنقى : كل عظم فيه مخ .

(٤) التمّطق : التذوق ، وهو إطباق إحدى الشفتين على الأخرى مع صوت يكون بينهما .

(٥) الأسر : الخلْق ، قال عز وجل ﴿ **وشددنا أسرهم** ﴾ .

(٦) الهادي : العنق ، أي أنها ضخمة العنق كأن عنقها نصف حجمها .

(٧) الأنوح : الكثير الزحير في جريه .

(٨) الفَلّ : المنهزمون .

(٩) أصابوا : وجدوا

١٦ ـ سَأَلَهُ .. فانتسَبَ له وافتخر

دخل صعصعة بن صوحان على معاوية ـ رضي الله عنه ـ أوّل ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه [١] ، فقال معاوية : ممّن الرجل ؟ فقال : رجل من نزار . قال : وما نزار ؟ قال: كان إذا غزا انحوش[٢] ، وإذا انصرف انكمش، وإذا لَقَيَ افترس .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة . قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل [٣] .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من أمهرَ . قال : وما أمهر ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى .

قال : فمن أي ولده أنت؟ قال : من جديلة. قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد[٤] ويعد الجياد [٥] ، ويجيد الجلاد .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من دعْميّ . قال : وما دعمّي ؟ قال: كان ناراً ساطعًا ، وشراً قاطعًا[٦]، وخيرا نافعًا [٧] .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال من أفْصَى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات ، ويكثر الغارات ، ويحمي الجارات [٨] .

---

(١) المعنى أنه كان يصله عنه كلام .
(٢) انحوش : لم يكترث ولم يتهيب .
(٣) يجود بالنيل : يجود بما نالته يداه ، فلا يبخل ولا يدخر .
(٤) يطيل النجاد : النجاد : حمالة السيف ، مما يدل على أنه عظيم الخلق مهيب .
(٥) يجيد الجلاد : يحسن مجادلة العدو ، ومحاربته .
(٦) شراً قاطعًا : على من عاداه .
(٧) وخيراً نافعا : لمن والاه ، القارات: الجبيل الصغير .
(٨) يحمي الجارات : إما الجارات من النساء ، وإما الجارات من القبائل .

قـال : فمـن أي ولـده أنـت ؟ قـال : مـن عـبـد القيـس . قـال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذاده، جحاجحة سادة [١] ، صناديد [٢] قادة .

قال : فمن أي ولده أنت؟ قال مِنْ أفصى ، قال : وما أفصى ؟ قال : كانت رمحاهم مشرعة[٣]، وقدورهم مترعة [٤] ، وجفانهم مفرغة .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْز . قال : وما لكيز ؟ قال : كان يباشر القتال ، ويعانق الأبطال ، ويبدد الأموال [٥].

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من عجل . قال : وما عجل ؟ قال: الليوث الضراغمة ، الملوك القماقمة [٦] القروم القساعمة [٧] .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من كعب . قال : وما كعب؟ قال : كان يسعر الحرب [٨] ، ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من مالك . قال : وما مالك ؟ قال : هو الهمام للهمام ، والقمقام للقمقام .

فقال معاوية رحمه الله : ما تركت لهذا الحيّ من قريش شيئًا . قال : بل تركت أكثره وأحبه ، قال : وما هو ؟ قال: تركت لهم الوبر والمدر [٩] ،

---

(١) جحاجحة : جمع جحجاح : وهو السيد السمح الكريم .
(٢) صناديد : جمع صنديد : وهو البطل المقاتل المجالد .
(٣) مشرعة : مرفوعة ظاهرة للقتال مشهرة في وجوه الأعداء.
(٤) قدورهم مترعة : مملوءة بالطعام يقري الأضياف .
(٥) يبدد الأموال : يفرقها ويوزعها على من حوله جودًا وكرمًا ،ولا يبقيها بخلا وشحًا.
(٦) القماقمة : جمع قمقام ، وهو السيد الجامع للسعادة الواسع الخير .
(٧) القساعمة القروم: جمع قرم (وهو السيد) والقسعم: النسر الذكر العظيم (ملوك عظام).
(٨) يسعر الحرب : يشعل نارها ، ولا يخشاها ولا يرهب الدخول فيها.
(٩) الوبر والمدر : الوبر : الإبل . والمدر : الطين (والأول للبدو ، والثاني للحضر) .

والأبيض والأصفر [١] ، والصفار والمشعر ، والقبة والمفخر ، والسرير والمنبر [٢] ، والملك إلى المحشر .

قال : أما والله لقد كان يسوؤني أن أراك أسيراً .

قال : وأنا والله لقد كان يسوؤني أن أراك أميراً .

ثم خرج ، فبعث إليه فرُدّ ، ووصله ، وأكرمه .

---

(١) الأبيض ، الفضة ، والأصفر : الذهب.

(٢) السرير : عرس الخلافة أو الملك ، المنبر : الخطابة (علامة الزعامة) .

١٧ ـ الأوْسُ ..و.. الخَزْرج
المنيّة ولا الدنيّة

عاش (الأوس بن حارثة) دهراً وليس له ولدٌ إلا (مالك) وكان لأخيه (الخزرج) خمسة : عمرو ، وعوف ، وجُشَم ، والحرثُ ، وكعبٌ ، فلما حضر (الأوس) الموتُ قال له قومه : قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تَزَوّج حتى حضرك الموتُ ، فقال الأوس :

لم يَهْلك هالك ، ترك مثْلَ مالك ، وإن كان (الخزرج) ذا عُدَد وليس لمالك ولد ، فلعلّ الذي استخرج العذق من الجريمة [١] والنار من الوثِيمة [٢] أن يجعل لمالك نَسْلاً ، ورجالاً بُسْلاً .

يا مالك ، المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلّد لا التبلد ، واعلم أن القبر خيرٌ من الفقر ، وشر شارب المستشف [٣] وأقبح طاعم المقتفّ [٤]، وذهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم الدفاعُ عن الحريم ، ومن قلّ ذلّ [٥] ، ومن أمر فَلّ [*]، وخير الغنى القناعة ، وشر

---

(١) العَذْق : النخلة نفسها (بلغة أهل الحجاز) والجريمة : النَّواة .

(٢) والوثيمة : الموثومة المربوطة (يريد خروج النار من قدح حوافر الخيل حين تصطك بالصخور) .

(٣) المستشفّ : المستقصى (أي الذي يشرب كل ما في الإناء حتى الشفافة : وهي البقية في الإناء) .

(٤) المقتف : الأكل في عجلة وسرعة ، ومنه سُمّي القفاف .

(٥) من قلّ ذلّ : من قلّ ماله ، أو قال عدد أنصاره ، أصابه الذلّ .

(*) المقصود : بـ (أمِرَ) كثر عَدَده ، وبـ (فَلّ) قهر عدوه وغلبه.

الفقر الضراعة (١) ، والدهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك فإذا كان لك فلا تُبطرْ ، وإن كان عليك فاصبر ، فكلاهما سينحسر تَعُز من ترى ، ويُعزّك من لا ترى (*) ، ولو كان الموت يشترى (٢) لسَلَمَ منه أهل الدنيا ، ولكن فيه يسْتَوون الشريف الأبلج (٣) ، واللئيم المُعَلْهج (٤) ، والموتُ خيرٌ من أن يقال لك : هُبيت (٥) ، وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة ، وشرّ من المصيبة سوء الخلف (٦) ، وكل مجموع إلى تلف (٧) ، حيال إلهك .

فنشر الله من مالك بعدد بني الخزرج أو نحوهم .

(١) الضراعة : التذلل والطلب والسؤال .

(*) المقصود أن تغلب من تراه من الناس ، ويقدر عليك ويغلبك من لا تراه وهو الله سبحانه .

(٢) يشتري : أي يمكن الهروب واقتداء النفس منه بالمال .

(٣) الشريف الأبلج : الشريف الواضح الشّرف ، النقي النسب والسيرة .

(٤) اللئيم المعلهج : المتناهي في الدناءة واللؤم (وهو دنيء الأصل في نفسه وآبائه) .

(٥) هبيت : الهبيت الضعيف ، قال طرفة بن العبد :

الهبيت لا فؤاد له وَالثَّبيتُ ثَبْتُهُ فَهِمُهْ

(٦) الأكثر شرًا من المصيبة أن يخلف (يترك من بعده) خلفًا سيئًا (سواء أكان ولدًا أم عملا، أم سيرة) .

(٧) كل مجموع إلى تلف : أي كل ما يجمع الناس إلى بوار ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ .

١٨ - زوجان تشاتما

الزواج سكن ، ومودّة ، ورحمة .

وما أجمل وأكمل أن يشمل تخاطب الزوجين أدب لسان ، وعفّة مقال، ومراعاة شعور ، وإكرام خاطر ، ومعرفة حق .

لكن ذلك لا يكون حال كل زوجين .

حدث أحدهم قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول: والله إن شُرْبك لاشتفاف (١) ، وإن ضجعتك لانجعاف (٢) ، وإن شملتك لالتفاف (٣) ، وإنك لتشبعُ ليلةَ تضاف (٥) ، وتنام ليلة تُخاف (٥) .

فقال لها : والله إنك لكرواء الساقين (٦) ، قعواء الفخذين (٧) ، مقّاء الرفغين(٨) ، مُفَاضَةُ الكشحين (٩) ، ضيفكِ جائع (١٠) ، وشرّك شائع .

---

(١) إن شربك لاشتفاف : إنك شربت من إناء لم تترك فيه شيئًا حتى تشرب الشّفافة ، وهي البقية تبقى في الإناء .

(٢) وإن ضجعتك لانجعاف : نومتك نومة الصريع الذي لاحَراك له .

(٣) وإن شملتك لالتفاف : إذا نمت تغطيت وتلففت في شملتك لا تشرك معك أحدًا .

(٤) لتشبع ليلة تضاف : تظل عمرك جائعا حتى تصادف من يستضيفك فتشبع من طعامه .

(٥) تنام ليلة تخاف : (يأتيك النوم ليلة الخوف إما من جبن أو من بلادة إحساس) .

(٦) لكرواء الساقين : دقيقة (رفيعة نحيفة) الساقين : (الكرَا : دقة الساق) .

(٧) قعواء الفخذين : متباعدة ما بين الفخذين (كأن في عظام فخذيها اعوجاج وتباعد) (وتسمى الفَجْواء كذلك) .

(٨) مقاء الرفغين : الأصل في المقق : الطول ، والرفغ مجتمع الوسخ في الجسم .

(٩) مفاضة الكشحين : المفاضة : المسترخية ، والكشح : الخاصرة وما تحتها من لحم الجسم.

(١٠) ضيفك جائع : بخيلة لا تطعم ضيوفها .

١٩ ـ أَبُوها يَسْأل .. وهي تجيب

قال لابنة الخُسّ أبوها يوما : أيّ شيء في بطنك ، أخبريني وإلا ضربت رأسك . فقالت : أرأيتك إن أخبرتك بما في بطني أيكفّ ذاك عني عذابك اليوم ؟ قال : نعم . قالت : أسفله طعام ، وأعلاه غُلام ، فاسأل عما شئت.

قال : أي المال خيرٌ ؟

قالت : النخْلُ ، الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحْل [١] .

قال : وأي شيء ؟

قالت : الضأن ، قرية لا وباء بها ، ننتجها رخالاً [٢] ، ونحلبها عُلالاً[٣] وتجزُّ لها جُفالاً [٤] ، ولا أرى لها مثالا .

قال : فالإبل ، مالك تؤخرنيها ؟

قالت : هي إذكار الرجال ، وإرقاء الدماء [٥] ، ومهور النساء .

قال : فأيّ الرجال خيرٌ ؟

قالت :

خَيْرُ الرجَال المُرْهَفُون كما   خَيْرُ تِلاعِ الأرض أوطَؤُهَا

---

(١) المحل : الجدْبُ وقلة الخير .

(٢) ننتجها رخالا :

(٣) نحلبها عُلالا :

(٤) تجزّ لها جُفالا :

(٥) إرقاء الدماء : تدفع في الديات ، فتسكن الأحقاد ، وتمنع الحروب .

قال: أيهم ؟

قالت : الذي يُسْأل ولا يَسْأل (١) ، ويضيف ولا يضاف ويصلح ولا يصلح.

قال : فأىُّ الرجال شرٌّ ؟

قالت : الثُّطَيْطُ النُّطَيْط (٢) ، الذي معه سويط (٣) الذي يقول أدركوني من عبد بني فلان فإني قاتله أو هو قاتلي .

قال : فأيّ النساء خير ؟

قالت : التي في بطنها غلام ، وتحمل على وركها غلامًا ، ويمشي وراءها غلام.

قال : فأيّ الجمال خيرٌ ؟

قالت : السّبحلُ الربّحْلُ ، الراحلةُ الفَحْل (٤)

قال : أرأيتك الجذع (٥) ؟

قالت : لا يضرب ولا يدع .

قال : أرأيتك الثني (٦) ؟

---

(١) يُسال ولا يسأل : كريم لا يطلب ، وإنما يعطي السائلين .

(٢) الثَّطيط : الذي لا لحية له .

والنطيط : الهذريان كثير الكلام ، يأتي بالخطأ والصواب على غير معرفة .

(٣) سويط : سَوْط صغير .

(٤) السبحل الربحل : الكثير اللحم .

الراحلة : القادر على الارتحال والسير لمسافات طويلة دون كلال .

(٥) الجذع : ما استكمل أربعة أعوام ودخل في الخامسة .

(٦) الثني : هو البعير الذي سقطت ثنيته (لسن التي في مقدم فكه) وهي القواطع (وقد =

قالت : يضرب وضرابه وَفِيّ .

قال : أرأيتك السَّدس [1] ؟

قالت : ذلك العَرَس [2] .

= قيل إن الأصح : يضرب وضرابه أنِيّ : أي يطيء) .

(١) السدس : ما دخل من الإبل في السنة الثامنة .

(٢) العَرَس : ذلك هو التزاوج بين الإبل .

٢٠ ـ والقَوْمُ يسْألونها فتجيب

قيل لابنة الخنسٌ : أيّ الرجال أحبُّ إليك ؟

قالت : السَّهلُ النجيب ، السمح الحسيب ، النّدْبُ الأريب [١] ، السيّد المهيب .

قيل لها : فهل بقى أحدٌ من الرجال أفضل من هذا ؟

قالت : نعم ، الأهيف الهفهاف [٢] ، الأنف العياف [٣] ، المفيد المتلاف[٤]، الذي يخيف ولا يخاف .

قيل لها : فأيّ الرجال أبغض إليك ؟

قالت : الأوره النورم [٥] ، الوكل السؤوم [٦] ، الضعيف الحيزوم [٧] ، اللئيم الملوم .

قيل لها : فهل بقى أحد شرٌ من هذا ؟

قالت : نعم ، الأحمق النزاع ، الضائع المُضاع ، الذي لا يهابُ ولا يطاع .

---

(١) الندب الأريب : الذي يُندب في الأمور ليسمع رأيه فإذا هو الذكي اللبيب .

(٢) الأهيف : الخفيف الجسم القليل اللحم .

(٣) الأنف العياف : الذي يأنف من المعايب ، وتعاف نفسه المخازي .

(٤) المفيد المتلاف : الذي يفيد الناس بماله ، ويوزعه فلا يكتنزه .

(٥) الأوْره : الأحمق ، والواحدة ورهاء .

(٦) الوكل : الضعيف .

(٧) الحيزوم : الذي لا بأس له ولا قوة ولا يشد للأمر حيازمه .

قالوا : فأي النساء أحبُّ إليك ؟

قالت : البيضاء العطرة ، كأنها ليلة قمرة .

قيل : فأي النساء أبغض إليك ؟

قالت : العنفص القصيرة ، التي إن هي استنطقتها سكتت وإن سكتّ عنها نطقت .

٢١ ـ اللَّهُمّ ـ أعْلِ علَى بناءِ النّاسِ بَناءَهُ

كانَ عَليٌّ ـ رضي الله عنه ـ يُعَلِّم أصْحَابَه الصَّلاة على النبي ﷺ ويقول: اللهم دَاحِيَ المدْحُوَّات (١) ، وبَارئَ المَسْمُوكَات (٢) ، وجَبّارُ القلوب علَى فطرتها، شَقِيِّها وسَعِيدِها ، اجْعَل شرَائفَ صَلَواتك ، ونَوَامي بَركاتك ورَأْفَةَ تَحنُّنكَ على محمد عبدكَ ورَسُولك ، الخاتم لِمَا سبَق ، والفَاتحَ لِمَا أُغلق ، والمُعلن الحقَّ بالحَقّ ، الدّامغ لجيشات الأباطيل كما حُمِّل ، فاضطلع بأمركَ بَطاعَتك ، مُستَوفِزًا (٣) في مَرْضاتك ، بِغَيْر نكَلَ (٤) في قَدَم ، ولا وهي في عَزْم ، واَعيًا لِوحيكَ ، حافظًا لِعَهدكَ ، مَاضيًا على نفَاذ أمْرك ، حتّى أورى قَبسًا لقابس (٥) ، آلاءُ الله تَصلُ بأهْله أسْبَابَه ، به هُدَيت القلوبُ ، بَعْدَ خَوْضات الفتن ، ووَضحَتْ أعلام الإسلام ،ومنيرات الأحكام ، فَهُوَ أمينك المأمون ، وخَازن عِلْمكَ المخزُون ، وشهيدك يَوْم الدين ، وبعيثُك نعمه ، ورسولك بالحقِّ رحمه .

اللهم افسح له في عَدْنك مُنفَسَحًا ، وأجْزه مَضَاعفَات الخيرْ منْ فَضْلك مَهنّآت نُميْرَ مكَدَّرات ، مِنْ فَوْزِ ثوابك المحْلُول (٦) ، وَجزيل عطائك

---

(١) المدحوات : من دحا الأرض بمعنى بسطها ومدها .

(٢) المسموكات : من سمك السماء أي بناها ورفعها .

(٣) مستوفزًا : مستعدًا (وأصل وفز : جلس على هيئة كأنه يريد القيام) .

(٤) نكل : النكل : الرجوع أو التراجع .

(٥) أوري قبسا لقابس : أشعل نارًا لمن يريد أن يقبس منها (والمراد أنار الطريق لمن يريد قبس هداية) .

(٦) ثوابك المحلول : الذي أحللته وجعلته حلالاً لمن يستحقه.

المعلول [1] .

اللهم أعْلِ على بناء الناسِ بناءه ، وأكرم لديك مَثْواه ، وأتمم له نورَه ، وأجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، ومَرْضيّ المقالة ذا منطق عدل ، وخطة فصْل ، وبَرهان عظيم .

(١) المعلول : المكرر المضاعف .

٢٢ - في صِفَةِ الأسَد

اجتمع عند يزيد بن معاوية : أبو زبيد الطائي ، وجميل بن معمر العذري والأخطل التغلبي ، فقال لهم يزيد : أيكم يصف الأسد في غير شعر؟

فقال أبو زبيد : أنا يا أمير المؤمنين :

لونه ورد ، وزئيره رعد ، ووثبه شدّ ، وأخذه أحدّ ، وهوله شديد ، وشره عتيد ، ونابه حديد ، وأنفه أخثم [١] ، وخده أدرم [٢] ، ومشفره أدلم[٣] ، وكفاه عراضتان ، ووجنتاه ناتئتان ، وعيناه وقادتان كأنهما لمح بارق ، أو نجم طارق ، إذا استقبلته قلت أفدع [٤] ، وإذا استعرضته قلت أكوع ، وإذا استديرته قلت أصمع [٥] ، بصير إذا استغضى [٦] ، هموسٌ إذا مشىَ ، إذا قَفّى كمش [٧] ، وإذا جرى لحمش [٨] ، براثنه شثنة ، ومفاصله مترصة [٩] ، مصعق لقلب الجبان ، مروّع لماضي الجنان ، إن قاسم ظلم ،

---

(١) أخثم : عريض .
(٢) خده أدرم : خده مستدير مُسَوّى .
(٣) مشفره أدلم : شفاهه متهدلة .
(٤) أفدع : أعوج المفاصل .
(٥) أصمع : صغير الأذنين أو مقطوعها .
(٦) استغضى : غض بصره كأنه لا ينظر .
(٧) إذا قفى كمش : إذا تابع فريسة أسرع في سيره وراءها .
(٨) إذا جرى لحمش : أسرع في جريه غير متهيب .
(٩) مفاصله مترصة : مفاصله محكمة مسوّاه .

وإن كابر دهم [١] ، وإن نال غشم [٢] .

ثم أنشأ يقول :

خَبَعْثَنٌ [٣] اشْوَسُ ذوتَهكُّم	مَشْتبكَ الأنيابِ ذُوَ تَبَرْطُم
وَذُو أهاويلَ ، وذو تَجَهُّم	سَاطِ على الليث الهزبر الضَّيْغم
وعينه مِثْلُ الشهاب المضرم	وهامُهُ كالحَجَرِ الململم

فقال يزيد : حسبك يا أبا زبيد :

ثم قال : قل يا جميل :

فقال : يا أمير المؤمنين ، وجهه فَدْغَمٌ [٤] وشدقه شدقم [٥] ، ولَغْزه معرنزم ، مقدّمه كثيف ، ومؤخره لطيف ، ووثبه خفيف ، وأخذه عنيف ، عبل الذراع [٦] ، شديد النخاع ، مَرْد للسباع [٧] ، مصْعق الزئير ، شديد المرير ، أهرت [٨] الشدقين ، مترحى الحصيرين [٩] ، يركب الأهوال ،

---

(١) إن كابر دهم : إذا كابره أحد وقاتله دهمه فقضى عليه .

(٢) إن نال غشم : إذا كسب كان ظلومًا غشومًا .

(٣) خبعثن : جرئ دخال للأماكن غير هياب .

أشوس : جرىء شجاع .

(٤) وجهه فدغم : ليّن عن يبس .

(٥) شدقه شدقم : أشداقه واسعة .

(٦) عبل الذراع : ضخم الذراع ممتلئها .

(٧) مرد للسباع : إذا دخل في عراك مع السباع أرداها أي أهلكها .

(٨) أهرت الشدقين : واسع الشدقين .

(٩) مترحى الحصيرين : محكم الجانبين .

ويهصر الأبطال ، ويمنع (١) الأشبال ، ما إن يزال جاثما في خيس (٢) أو رابضًا على فريس ، أو ذا ولغ ونهيس (٣) .

ثم قال :

لَيْث عَريـــن ضَيْغَمٌ غَضَنْفَرْ مُدَاخَلٌ في حَلْقِه مُضَبَّرْ(٤)
يُخافُ مِـــنَ أنيابـه ويُذْعَرْ مَا إن يزالُ قائمًا يَزَمْجِرُ
لهُ على كلِّ السباعِ مَفْخَرْ قضاقِضٌ شَثْنُ البنان قسور(٥)

فقال يزيد : حَسْبك يا ابن معمر .

ثم قال : قل يا أخطل .

فقال الأخطل : ضيغم ضرغام ، غَشَمْشَمٌ همام ، على الأهوال مقدام، وللأقران هضام ، رئبال عنبس ، جريء دَلَهْمَس (٦) ، ذو صدر مُفَردَس ، ليث كروّس .

قضاقِض شَهْمٌ شديدٌ المِفْصَلُ مُضبر الساعد ذو تعثكل(٧)
شرنبث الكفين حامى أشبُل إذا لقاه بطل لم يَنْكل(٨)

---

(١) يمنع الأشبال : قادر على حماية أشباله ذو منعة .

(٢) خيس : الشجر الكثير الملتف .

(٣) ذا ولغ ونهيس : يلغ في دماء الفرائس وينهس لحمها .

(٤) مداخل في حلقه : مجتمع الأعضاء .

(٥) قضاقض : يحطم كل شيء ، ويقضقض فريسته ،شثن البنان : غليظ الأصابع خشنها .

(٦) دلهمس : ماض جريء لا يرده شيء .

(٧) مضبر الساعد : موثق محكم فتل الساعدين .

(٨) شرنبث الكفين : ترى الكفين عريضهما .

لم ينكل : لم يتراجع عن النزال والقتال .

مُلَمْلَمُ الهَامَة كمش الأرجل ذو لبد يغتال في تَمهّل

أنيَابهُ في فِيه مثلُ الأنصل وعينُهُ مِثلُ الشهاب المشعل

فقال له يزيد : حسبك .

وأمر لهم بجوائز .

٢٣ - لِتَقُلْ كُلٌّ وَاحِدة ما في نَفْسِهَا

كان ذو الإصبع العدواني غيوراً ، وكانت له بنات أربع ، وكان لا يزوجهن غيرَةً ، فاستمع عليهن يومًا وقد خلوْن يتحدثن ، فقالت إحداهن : لتقل كل واحدة ما في نفسها ، ولنصدق جميعًا .

فقالت كبراهن :

ألا ليت زَوْجي من أناسٍ ذَوي غنىً   حَديثُ الشباب طيبُ النَّشْرِ والذكر[١]
لَصُوقٌ بأكبـــادِ النّسَاءِ كأنّه   خليفة جَانٍ لا يُقيـــم على هَجْرِ

وقالت الثانية :

ألا ليته يُعطي الجِمَال بدينةً   له جَفْنَةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجزْر[٢]
لَهُ حكماتُ الدهر من غير كَبْرَةَ   تشين ، فلا فانٍ ولا ضرع غمْرُ[٣]

وقالت الثالثة :

ألا هل تَرَاهَا مَرّةً وَحَليلها   أشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْف عَيْن المهندِ[٤]

(١) حديث الشباب : لا يزال في بواكير الشباب وأوائله .
طيب النشر : طيب الرائحة ، طيب الذكر : حسن الصيت والشهرة .
(٢) تقصد أنه كريم إذا وهب الجمال وهبها بدينة (لا هزيلة) وله جفنة كبيرة لقرى الأضياف تشقى بها النوق والجمال من كثرة ما يذبح منها ليملأ جفنته .
والنيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة .
(٣) تريده حكيما من غير كبر في السن ، وشيب في رأسه يشينه ، فلا هو شيخ فانٍ ولا هو ضرع (ذليل ضعيف) ولا غمر : (لم يجرّب الأمور) .
(٤) الأشم : السيّد ذو الأنفة والكبرياء .ويروي الشطر الثاني هكذا :
أشمّ كنصل السيف غير حَقَلّد
والحقلد : البخيل الضعيف .

عَلِيمًا بأدْواءِ النّسَاءِ ورهـــطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدى[1]

فقيل لها : أنت تريدين ابن عمٍّ لك ، فقد عرفته .

وقيل للصغرى : ما تقولين ؟ فقالت : لا أقول شيئًا . فقلن : لا ندعك وذاك ، إنك اطلعت على أسرارنا ، وتكتمين سرّك .

فقالت : زوج من عود خير من قعود .

ثم خُطِبْن ، فزوجهن ذو الإصبع ، ثم أمهلهن حولاً .

ثم زار الكبرى ، فقال لها : كيف رأيت زوجك ؟

قالت : خير زوج ، يكرم أهله ، وينسى فضله [2] .

قال : فما مالكم ؟ قالت : الإبل . قال : وما هي ؟

قالت : نأكل لحائمها فرعا [3] ، ونشرب ألبانها جرعا ، وتحملنا وضعفنا معا[4].

فقال : زوج كريم ، ومال عميم [5] .

ثم زار الثانية فقال لها : كيف رأيت زوجك ؟

قالت : يكرم الحليلة [6] ، ويقرب الوسيلة [7] .

---

(١) رهطه : قومه وعشيرته ، والمحتد : الأصل والنسب .

(٢) ينسى فضله : لا يَمُنّ على غيره بأفضاله أو أنه كريم : إذا ترك شيئًا لم يسأل عنه .

(٣) فرعا : قطعا ممزعة .

(٤) أي تحمل الأقوياء والضعفاء ، فهي دابتنا وحمولتنا في الأسفار .

(٥) مال عميم : كثير يعم كل من يطلبه.

(٦) الحليلة : الزوجة .

(٧) يقرّب الوسيلة : إذا طلب إليه شيء لم يصعبه بل ييسره ويقربه .

قال : فما مالكم ؟ قالت : البقر . قال : وما هي ؟

قالت : تألف الغناء [١] ، وتملأ الإناء [٢] ، وتودك السقاء [٣] ، ونساء مع نساء [٤].

فقال لها : رضيت فحظيت .

ثم زار الثالثة : فقال : كيف رأيت زوجك ؟

قالت : لا سمح يذر ، ولا بخيل حكِر [٥] .

قال: فما مالكم ؟ قالت : المعَزْىَ . قال : وما هي ؟

قالت: لو كنا نُولدُهَا فَطُما ، ونَسْلُخها أدَمًا ، لم نبغ بها نعما [٦] .

قال : جَذَوٌ مُغْنَية [*] .

ثم زار الرابعة : فقال لها : كيف رأيت زوجك ؟

قالت: شرٌ زوج ، يكرم نفسه ، ويهين عِرسه [٧] .

قال : فما مالكم ؟ قالت : الضأن شر مال .

قال : فما هن ؟

---

(١) تألف الغناء : هادئة إذا ربطت بالغناء لم تنفر ولم تشرد .

(٢) تملأ الإناء : تحلب لنا كثيرا .

(٣) تودك السقاء : من الودك وهو السِّمَن : أي تحلب لبنا دسمًا .

(٤) تقصد أن البقر إناث قريبة من النساء وهن إناث .

(٥) لا هو سمح بالمال مبذر متلاف ، ولا هو حكِرٌ : يحبسُ ما عنده انتظاراً لغلائه .

(٦) لم نبغ بها نعما : لم نرض بها بديلاً من الأنعام .

(*) جذو مغنية : الجذوة القطعة كأنه يريد أنها قطعة صالحة من المال .

(٧) يهين عرسه : يهين عروسه (زوجته) .

قالت : جُوفٌ لا يشبعن [١] ، وهيم لا ينقعن [٢] ، وصُمٌّ لا يسمعن[٣] ، وأمرَ مغويتهن يتبعن [٤] .

فقال : أشبه امرؤ بعض بزّه . فأرسلها مثلاً .

(١) جوف لا يشبعن : بطون جوفاء لا تشبع من طعام .

(٢) هيم لا ينقعن : عطاش لا يرتوين مهما شربن .

(٣) صم لا يسمعن : لا يستجبن إذا ناداهن الراعي .

(٤) أمر مغويتهن يتبعن : يمشين ، فتسقط الواحدة منهن في ماءٍ أو وحْلٍ فتقع البقية وراءها فيما سقطت فيه .

٢٤ ـ تَسَاءَلا حتّى أسمع

اجتمع عامر بن الظَّرب العَدَواني وحُمَمَة بن رافع الدوسيّ عند ملك من مُلُوك حمير ، فقال الملك : تساءلا حتى أسمع ما تقولان .

قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك (١) ؟

قال حممة : عند ذي الرثّة العديم (٢) ، وذي الخَلَّة الكريم (٣) ، والمعسر الغريم (٤) ، والمستضعف الهضيم (٥) .

قال عامر : من أحق الناس بالمقت ؟

قال حممة : الفقير المختال ، والضعيف الصوال (٦) ، والعييّ القوال(٧).

قال عامر : فمن أحق الناس بالمنع ؟

قال حممة : الحريص الكائد (٨) ، والمستميد الحاسد (٩) ، والملحف الواجد (١٠) .

---

(١) أياديك : صنائعك ومعروفك .

(٢) ذي الرثية العديم : الرثية وجع المفاصل واليدين والرجلين (أي عند المريض المعدم) .

(٣) ذي الخلة : ذي الحاجة .

(٤) المعسر الغريم : ذو العسر وهو غريم عليه أموال وديون لا يقدر علىٰ سدادها .

(٥) المستضعف الهضيم : الذي يستضعفه الناس ويهضمون حقوقه.

(٦) الضعيف الصوال : الذي لا قوة له ، يصرخ في الناس : أنا وأنا وأنا وهو لا يقدر على فعل شيء .

(٧) العيي القوّال : من به عِيٌّ وعجز عن الكلام ويحاول أن يتفاصح ويتكلم .

(٨) الحريص الكائد : الشحيح الذي يكفر النعمة ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾.

(٩) المستميد الحاسد : الذي يستمد من مالك ويحسدك على ما في يدك من نعمة .

(١٠) الملحف الواجد : الذي يلحّ في السؤال الطلب مع أن عنده المال .

قال عامر : فمن أجدر الناس بالصنيعة [١] ؟

قال حممة : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا موطل صبر[٢] ، وإذا قدم العهدُ ذكر [٣] .

قال عامر : فمن أقربُ الناس عِشْرَةً ؟

قال حُممة : من إن قرُب مَنَح [٤] ، وإن بَعُدَ مَدَح ، وإنْ ظُلِمَ صَفَح ، وإن ضويق سَمَح [٥] .

قال عامر : ومن ألأم الناس ؟

قال حُممة : من إذا سأل خضع [٦] ، وإذا سُئِلَ مَنَع، وإذا ملك كَنَع[٧] ، ظاهره جَشعٌ ، وباطِنُهُ طَبَعٌ [٨] .

قال عامر : فمن أحْلَمُ الناس ؟

قال حممة : من عَفَا إذا قَدَر ، وأجمل إذا انتصر [٩] ، ولم تُطغِهِ عِزّةُ الظّفَرَ[١٠].

قال عامر : فمن أحزم الناس ؟

---

(١) الصنعية : المعروف تصنعه له .

(٢) موطل : لم تقض له الحاجة على الفور.

(٣) قدم العهد : طال الزمن بعد الإحسان إليه لم ينس الإحسان وصاحبه .

(٤) من إذا كان قريبا منك كان مفيداً لك بالعطاء والمنح .

(٥) من إذا ضايقته أو ضيقت عليه سمحت نفسه وصفح عنك أو التمس لك عذراً .

(٦) من إذا سأل أذلّ نفسه وخضع للمسؤول من أجل العطيّة .

(٧) إذا ملك المال تقبضت أياديه فلم يعط أحداً .

(٨) ظاهره جشع : وهو أسوأ الحرص ، وباطنه طبع : وهو الدنسُ .

(٩) إذا انتصر أجمل في انتصاره ، فلم يدفعه الانتصار إلى الإساءة والتعدّي.

(١٠) لم يدفعه الشعور بعزة النصر إلى تجاوز الحد ، والطغيان على المهزوم .

قال حُممة : من أخذ رقاب الأمور بيديه (١) ، وجعل العواقب نُصْبَ عينيه (٢) ونبذ التَّهَيُّبَ دَبْرَ أذنيه (٣) .

قال عامر : فمن أخرق الناس (٤) .

قال حممة : من ركب الخطار (٥)، واعتسف العثار (٦) ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار (٧) .

قال عامر : فمن أجود الناس ؟

قال حممة : من بذل المجهود (٨) ، ولم يأس على المعهود (٩) .

قال عامر : فمن أبلغ الناس .

قال حممة : من جَلّيٍّ المعنى المزيز (١٠) ، باللفظ الوجيز ، وطبق المِفْصَلَ قبل التحريز (١١) .

قال عامر : فمن أنعم الناس عيشًا ؟

---

(١) من ملك زمام الأمور ولم تملكه الأمور.
(٢) تَدَبّر العواقب ، وجعلها أمامه قبل الإقدام على الأمور .
(٣) نبذ التهيب : ألقاه بعيدًا عنه ، وجعله دبر أذنيه : أي خلفهما لا ينظر إليه .
(٤) أخرق الناس : أشدهم خرقًا وحمقًا .
(٥) من ركب المخاطر وهو لا يقدر عليه .
(٦) أقحم نفسه في مواطن العثرة والسقوط .
(٧) دخل في الأمور قبل الأوان المناسب للدخول فيها ، وقبل القدرة على ذلك .
(٨) بذل المجهود : أعطى بأقصى طاقة له على العطاء .
(٩) لم يأس على المعهود : لم يحزن على ما كان لديه من مال بعد أن بذله.
(١٠) جلى المعنى المزيز : أبرز المعنى الذي هو أفضل المعاني .
(١١) قال بالقول القاطع الفصل في الأمر في بيان وجلاء .

قال حممة : من تحلّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف [١] ، وتجاوز ما يخاف إلى مالا يخاف [٢] .

قال عامر : فمن أشقى الناس؟

قال حممة : من حسَد على النِّعم ،وتسخط على القَسم [٣] ، واستشعر الندم على فوت مالم يُحْتَمْ [٤] .

قال عامر : من أغنى الناس ؟

قال حممة : من استشعر اليأس [٥] ، وأبدى التحمّل للناس ، واستكثر قليل النعم [٦] ، ولم يسخط على القَسَم .

قال عامر : فمن أحكم الناس ؟

قال حممة : من صمت فادّكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازْدَجَر.

قال عامر : من أجهلُ الناس ؟

قال حممة : من رأى الحماقة مغنمًا ، والتجاوز مغرمًا [٧] .

---

(١) الكفاف : ما يكفي فلا يزيد عن الحاجة ولا ينقص عنها .

(٢) عمل حساب مايستحق الاهتمام به ، ومالا يستحق .

(٣) تسخط على القسم ولم يرض بخطه من العيش في الحياة .

(٤) ندم على فوات ما تمناه ،ولم يكن هناك ما يؤكد له أنه من نصيبه .

(٥) أحس باليأس مما في أيدي الناس فاستغنى عنهم .

(٦) رأى النعم القليلة التي لديه كثيرة.

(٧) من رأى في الحماقة غنيمة ، وفي التجاوز عن أخطاء الغير غرما وخسارة .

٢٥ - لا يَغُرَّنّك أَنْ فَسَّحَ الشَّبَابُ خَطْوَكَ

قال : رأيت رجلا من أزد السَّراة أعمى يقوده شابٌّ جميل ، وهو يقول للشاب : يا سُمُيّ ، لا يغرنَّك أن فَسَّحَ الشبابُ خَطْوك [(١)] ، وخلّى سَرْبك[(٢)] ، وأرفه وِرْدَك [(٣)] ، فكأنك بالكبر قد أرب ظوْفَك [(٤)] وأثْقَلَ أَوْقَك[(٥)] ، وأوهن طوقك [(٦)] ، وأتعب سوقك [(٧)] ، فهدَجْتَ بعد الهملجة[(٨)] ، ودَجَجْتَ بَعْدَ الدَّعْلَجَة [(٩)] ، فخذ من أيام الترفيه لأيام الانزعاج ، ومن ساعات المُهْلَة لساعات الإعجال .

يا ابن أخي : إن اغترارك بالشباب ، كالتذاذك بسمادير الأحلام [(١٠)] ، ثم تَنْقَشِعُ فلا تمسك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تُعَرّى راحلة الصبَّا [(١١)] ، وتَشْربُ سلوةً عن الهوى [(١٢)] ، واعلم أنّ أغنى الناسِ يوم الفقر من قدّم ذخيرة ، وأشدهم اغتباطا يوم الحسرة من أحسن سريرة .

---

(١) فسح الشباب خطوك : جعلك الشباب قويا سريع الخطى متباعدها .

(٢) خلّى سَرْبَك : السرب الطريق ، والمعنى أوسع لك الطريق إلى مقاصدك .

(٣) أرفه وردك : جعلك ترفّه العيش ترد عذبا .

(٤) أربَ ظوفك : عقد ما بين رسغي قدميك فأصبحت ضيق الخطو بعد الانفساح .

(٥) أثقل أوقك : الأوق : الثقل ، أي جعل ما كان خفيفا قد صار ثقيلا .

(٦) أوهن طوقك : أضعف طاقتك .

(٧) أتعب سَوقك : جعل سوقك واهنًا متعبًا .

(٨) هدجت بعد الهملجة : ضعفت بعد السير السريع .

(٩) دججت بعد الدعلجة : الدج : المرور الضعيف ، والدعلجة : الشيء السريع كالدحرجة .

(١٠) سمادير الأحلام : أباطيل ما ترى في نومك .

(١١) تعَرّى راحلة الصبا : تخلع عن نفسك ثوب الصبا كما تخلعه الراحلة المسنّة رحلها .

(١٢) تتسلى عن هوى الصبا راضيًا بما أنت فيه معذبًا نفسك .

٢٦ ـ رثَتْ .. فأجَادَتْ

مات الأحنف بن قيس بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير لقتال المختار ، فلما حملت جنازته وَدُلِيَ في قبره ، جاءت امرأة من قومه من بني منقر ، فوقفت على قبره فقالت :

لله درك من مُجَنّ في جُنَنٍ [١] ، ومدرج في كفن [٢] ، إنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله الذي فجعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يوسّع لك في قبرك ، وأن يغفر لك يوم حشرك ، وأن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الرشاد دليلك .

ثم أقبلت بوجهها على الناس فقالت :

معشر الناس ، إن أولياء الله في بلاده ، شهود على عباده ،وإنا قائلون حقًا ، ومثنون صدقًا ، وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء .

أمَا والذي كنت من أجله في عده [٣] ، ومن الضمان إلى غاية ، ومن الحياة إلى نهاية ، الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً[٤]، ولقد مت فقيداً سعيداً ،وإن كنت لعظيم السلم [٥] ، فاضل الحلم[٦]، وإن كنت من الرجال لشريفا ، وعلى الأرامل عطوفا ، وفي العشيرة مسوّدًا ، وإلى الخلفاء موفدًا [٧] ، ولقد كانوا لقولك مستمعين [٨] ، ولرأيك متبعين . ثم انصرفت .

---

(١) مجّن في جنن: قد أخفى جثمانك فيما يخفى ويجن فأنت في أكفان تحت طبقات التراب.

(٢) مدرج في كفن : أي ملفوف فيه مغطى به .

(٣) كنت في الأجل المقدر لك إلى موعد حدده الله تعالى .

(٤) مودودًا : أهلا للمودة والمحبة ممن حولك .

(٥) عظيم السلم : تسالم عن مقدرة وعزة جانب . (٦) فاضل الحلم : زائده ، وواسعه.

(٧) أي أنك كنت بمنزلة السفير بين الخلفاء . (٨) كناية عن صواب رأيه ، وحسن مشورته.

٢٧ ـ واللّه ، لا حَذَوْتُ له نَعْلَهُ

كتب أبو محلم إلى الحذّاء [١] في نَعْل له :

دْنَها ، فإذا همّت تأتدن [٢] فلا تَخَلَّهَا تَمَرْخَدُ [٣] ، وقَبْلَ أن تَقْفَعَلّ ، فإذا ائْتدَنَتْ فامْسَحْها بخرقَةٍ غَيْرِ وكِبَةٍ [٤] ولا جَشِبَةٍ [٥] ثم امْعَسْهَا [٦] مَعْسًا رَقيقًا ، ثم سُنَّ شَفْرتَك وامهها [٧] ، فإذا رأيتَ عَلَيْها مِثْلِ الهَبْوة فَسُنّ الأزميل ، ثم سَمِّ الله ، وصَلِّ على محمد ﷺ ثم انْحِهَا [٨] ،وكوِّف جَوَانبَها كوفًا [٩] رقيقًا ، وأقْبِلْها بقبالين أخْنَسَيْنِ أفطسَيْن غيرَ خَلِطَيْن [١٠] ولا أصْمَعَيْن[١١] ، وليكُونا وثيقين منْ أديم صَافي البَشْرَة غيْرَ نَمِشٍ ولا حَلِم[١٢]، ولا كَدِشَ [١٣] ، واجعَلْ في مقدِّمِهَا كمنقار النُّغر [١٤] .

فلما وصل الكتاب إلى الحذاء لم يفهم منه شيئًا إلا « ولاَ كدِش » فقال: صَيَّرني كداشًا [١٥] ؟! والله لا حذوت له نعله .

---

(١) الحذاء : صانع الأحذية والنعال .
(٢) بلّلها بالماء حتى إذا أخذت تبتلّ .
(٣) تمرخَدّ .
(٤) غير وكبة : غير وسخة .
(٥) ولا جشبة : غير غليظة .
(٦) امعسها : ادلكها دلكا رقيقًا .
(٧) أمهها : اجعلها حادة قاطعة .
(٨) أنحها : افعل فيها نحو غيرها من النعال والأحذية .
(٩) كوفا رقيقا : الكوف : التدوير .
(١٠) غير خلطين : أي برباطين من جنس واحد ، وليسا مختلفين .
(١١) ولا أصمعين :ولا رقيقين .
(١٢) ولا حلم : لم يفسد الجلد بفعل الدود عند دباغه فيتقطع عند استعماله .
(١٣) ولا كدش : ليس به داء أو عيب .
(١٤) النغر : طائر ، ومنه النغير الذي قال فيه ﷺ :« كيف حال النغير ؟» .
(١٥) كداشا : الكريّ الذي يُكتَري ويستأجر .

٢٨ - بَليغٌ يَعظ

قال :

حضرتُ مجلسَ الأحنف بن قيس ، وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

إنّ الكرَمَ ، منْعُ الحُرَم (١) ، ما أقرب النقمة من أهل البغى (٢) ، لا خير في لذة تعقب ندمًا ، لن يهلك من قصد (٣) ، ولن يفتقر من زهد (٤) ، ربّ هزل قد عاد جدًا (٥) ، من أمن الزمان خانَهُ ، ومن تَعظَم عليه أهانه(٦) دعوا المزاح فإنه يورث الضغائن ، وخير القول ما صدقه الفعْل ، احتملوا لمن أدلّ عليكم (٧) ، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم أطع أخاك وإن عصاك وصله وإن جفاك . أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك (٨) ، وإياكم ومشاورة النساء، واعلم أن كفر النعمة لؤم (٩) ، وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم

---

(١) منع الحرم : صيانة كل ذي حرمة وعهد من مال وأهل وصديق وعرض .

(٢) أى أن البغاة الظلمة أكثر تعرضا لنقمة الله .

(٣) لن يهلك من قصد : القصد الاعتدال ، فمن كان معتدلاً في كل أمره نجا .

(٤) لن يفتقر من زهد : من زهد في الدنيا تركها ، واستغنى عنها ، فلم يشعر بالافتقار إلى متاعها .

(٥) رب هزل قد عاد جدًا : ربما بدأ الأمر هزلا ، فلم يستمر هكذا وانقلب إلى جدّ غير هزل.

(٦) من تعالى على الزمن : فلم يأبه لتقلبه وتغير أحواله أهانته حوادث الأيام .

(٧) من أظهر الدلال عليك ، فتجاوز ، فاحتمل دلاله وتجاوزه .

(٨) أعط الحقوق من نفسك إلى أصحابها طائعا ، قبل أن يأخذوها منك بالقوة .

(٩) كفر النعمة : يعني جحدها وإنكارها . واللؤم : خسة الأصل ودناءة الطبع .

الوفاءُ بالذمم . ما أقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف (١) ، والعداوة بعد الودّ . لا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل (٢) ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك (٣) ، فأنفق في حق (٤) ، ولا تكونن خازنا لغيرك (٤) ، وإذا كان الغدر في الناس موجودًا فالثقة بكل أحد عجزْ (٦) ، اعرف الحق لمن عرفه لك(٧) ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

قال :

فما رأيت (٨) كلامًا أبلغ منه ، فقمت وقد حفظته .

---

(١) أي ما أقبح أن يتغير الإنسان وينقلب من الخصال الحسنة إلى أضدادها ، أو ما أقبح أن يقابل هذه الأوصاف الحسنة بعكسها .

(٢) البذل : العطاء ، وهو عكس البخل الذي هو : المنع .

(٣) أي اعلم أن ما تملكه من الدنيا كله يذهب عنك بموتك أو فقرك ولا يبقى لك إلا ما أنفقته لتصلح به آخرتك .

(٤) أنفق في حق : أي في أمور حلال مشروعة .

(٥) أي لا جمع المال ، ثم تبخل به ، فتموت وتتركه لمن وراءك ، فلا تكون إلا حارسا خازنا فقط حال حياتك ثم يمتنع به من وراءك وتحمل عيب البخل ، ووزر الكنز والمنع .

(٦) إذا شاع الغدر في الناس ، فليس من العقل والحكمة أن يثق الإنسان بكل أحد ، بل عليه بالحذر ، فلا يعطي ثقته إلا لأمين غير غادر .

(٧) من عرف لك حقك وقدرك ، وجب عليك أن تعرف له حقه ، وتقدره كذلك .

(٨) مقاطعة الجاهل تعدل في فضلها وحكمتها وفائدتها صلة العاقل الحكيم .

٢٩ ـ وَصَفَ .. فَأَجاد .. وأنقذْ قومه

مَرّ مَنْسَرٌ [١] من العرب بغلام يرعى غنيمة له ، وبينه وبين أهله شِعْبٌ أو نقب [٢] فترك غنمه ، وأسند [٣] في الجبل ، فأتى قومه فأنذرهم ، فقالوا له: ما رأيت ؟

قال: رأيت سبعة كالرماح [٤] على سبعة كالقداح [٥] ، غائرة العيون، لواحق البطون [٦]، ملس المتون [٧] ، جريها انبتار [٨] ، وتقريبها انكدار[٩]، وإرخاؤها استعار ، وعهدي بهم [١٠] قد لاذوا بالضلع [١١] وكأنكم بغبارهم قد سطع .

فلم يفرغ من كلامه حتى رأوا الغبرة ، فاستعدوا ، وصادفهم القوم حاذرين فأدبروا عنهم .

---

(١) منسر : جماعة الخيل . (٢) الشعب : الشق في الجبل ، النقب : الطريق في الجبل .

(٣) أسند في الجبل : أسرع يمشي فيه . (٤) كالرماح : أي في طول أجسامهم واستقامتها .

(٥) على سبعة كالقداح : أي على سبعة من الخيل كأنها .

(٦) لواحق البطون :

(٧) ملس المتون : جمع أملس ناعم، والمتون: جمع متن وهو الظهر فهي ناعمة الظهور مستويتها .

(٨) جريها انبتار : شدة في الجري والعدو ،وسمى انبتارًا لأنه انبتر أي انقطع عن التقريب والإرخاء (و هما ضربان من الجري) .

(٩) تقريبها انكدار: التقريب نوعان: الأدنى: أن يجمع يديه ورجليه عند شدة الجري، والأعلى: أن يجمع يديه ورجليه ويحزئل متنه ، (فكان الخيل تنصب وتنكدر عند الجرى) .

(١٠) عهدي بهم : آخر رؤيتي بهم .

(١١) لاذوا بالضلع : لجأوا إلى الجبل الصغير .

٣٠ - لَمْ يُصَدِّقُوهَا .. فَهَلَكُوا

كان بنو ناعب وبنو داهن وبنو رئام ثلاثة أبطن من قبيلة قضاعة وكان البطنان الأولان متظاهرين على بني رئام الذين كانوا أقل منهما عدداً ، ولكنها أشجع عند اللقاء .

وكان لبني رئام عجوز عقيم تسمى خويلة يدخل عليها أربعون رجلاً كلهم من محارمها (بنو أخوة وبنو أخوات) ،وكان لخويلة أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكانت كاهنة .

وحدث أن اجتمع بنو رئام ذات يوم في عرس لهم ، وهم سبعون رجلا كلهم شجاع بئيس [١] ، فطعموا وأقبلوا على شرابهم ، فقالت زبراء الكاهنة لخويلة : انطلقي بنا إلى قومك أنذرهم . فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالا لها .

فقالت خويلة : يا ثمر الأكباد ، وأنداد الأولاد [٢] ، وشجا الحساد [٣] ، هذه زبراء تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد الشنعاء [٤] فاسمعوا ما تقول :

قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟

قالت : واللوح الخافق ، والليل الغاسق[٥] ، والصباح الشارق ، والنجم

---

(١) بئيس : ذو بأس شجاع .

(٢) أنداد الأولاد : نظراء أولادي في المنزلة .

(٣) شجا الحساد : الأذى المقلق في حلوق حسادكم لا يرتاجون بسببه .

(٤) المؤيد الشنعاء : المؤيد للداهية والأمر العظيم الشنيع .

(٥) الليل الغاسق : الليل المظلم .

الطارق ، والمُزْن الوادق (١) ، إن شجر الوادي ليأدو ختلا (٢) ، ويحرف أنيابا عصلا (٣) ، وإن صخر الوادي لينذر تكلا ، لا تجدون عنه معلا (٤) فوافقت قوما أشارى (٥) سكارى فقالوا :

ريح خجوج (٦) ، بعيدة ما بين الفروج ، أتت زبراء بالأبلق النتوج (٧) .

قالت زبراء : مهلا يا بني الأعزة ، والله إني لأشم ذفر الرجال تحت الحديد(٨) .

فقال فتى منهم يسمى هذيل : يا خذاق (٩) والله ما تشمين إلا ذفر إبطيك فانصرفت عنهم .

وارتاب قوم من ذوي أسنانهم (١٠) ، فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقى ثلاثون فرقدوا في مشربهم ، وطرقتهم (١١) بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوهم أجمعين .

وأقبلت خويلة مع الصباح ، فوقفت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها وانتظمت منها قلادة وألقتها في عنقها وفرحت حتى

---

(١) المزن الوادق : السحاب الممطر .

(٢) ليجيئن لكم كيداً ومكراً .

(٣) أنيابا عصلا : أنياب معوجة ، وهي أشد أثراً إذا انغرست في اللحم .

(٤) لا تجدون عنه معلا : لا تجدو منه ملجأ أو خلاصا .

(٥) أشارى : جمع أشِر ،وهو الذي يبطر الحق ويغمطه ولا يقبل قولاً .

(٦) ريح خجوج : سريعة المرور.

(٧) الأبلق النتوج : الأبلق لا يكون نتوجًا ، وهذا مثل تَضربه العرب لما لا يُنال .

(٨) تعني أنها تشم رائحة عرق الرجال تحت الدروع (والذفر الشن ، يقال للدنيا : أم ذفر).

(٩) يا خذاق : كناية عما يخرج من الإنسان (يقال : خذق ومزق وزرق : أخرج) .

(١٠) أي أن كبار السن شكوا في الأمر ، وتوقعوا إمكان حدوثه ، فرحلوا.

(١١) طرقتهم : هاجمتهم فجأة في وقت لا يتوقع فيه الهجوم .

لحقت بابن أختها (ويسمى مرْضاوي بن سَعْوَة المهري) فأناخت بفنائه ، وأنشأت تقول :

يَا خَيْرَ معتَمَدٍ وأَمنَعَ مَلْجاٍ ... وأعزَّ منتَقِم وأَدْرَكَ طـــالِب(١)

جَاءتْك وَافِدَةَ الثكالى تَغْتلي ... بِسَوَادِها فَوْقَ الفضاء الناضِبِ(٢)

عَيْرانة سُرُح اليَدْينُ شِملّة ... عُبر الهَوَاجِر كالهِزَقّ الخاضب(٣)

هذى خَنَاصِرُ أُسْرَي مَسْرودَة ... في الجيد مني مثل سمط الكاعِب(٤)

عشرونَ مُقْتبلاً وشَطْرُ عَديدهم ... صَيَّابة ملْقَومِ غيرُ أشايِب(٥)

طَرَقَتْهُمُ أمّ اللُّهيم فأصبَحُوا ... تُسْنُّ فَوْقَهُم ذُيُول حَوَاصِب(٦)

جَزَرًا لِعَافية الخَوَامِع بَعدَمَا ... كانوا الغياثَ من الزمانِ اللاحب(٧)

قَسَمَتْ رجالُ بني أبيهم بينُهمْ ... جُرَعَ الرَّدَى بمِخارِصٍ وقَواضِبِ(٨)

---

(١) صفات تدل على : المنعة ، والعزة ، وإدراك الثأر ، والانتقام من الأعداء .

(٢) الفضاء الناضب : من الخلاء البعيد .

(٣) تصف الناقة بأنها : عيرانة صلبة . سرح اليدين : سهلة نقل اليدين سريعة ، شملة : سريعة خفيفة ، عبر الهواجر : عابرة للأسفار ، هزَق : ظليم (ذكر النعام) خاضب: أكل الربيع فاحمر ريشه .

(٤) مسرودة : مشكوكة أو منظومة ، سمط الكاعب : عقد الفتاة التي كعب نهداها .

(٥) عشرون شابا ونصف عددهم فهم ثلاثون في مقتبل العمر ، ليسوا من أخلاط الناس بل هم من خلاصة القوم .

(٦) أم اللهيم : الداهية ، وتقول إن الرياح الحاصبة صارت تسفى عليهم وتغطي جثثهم .

(٧) جزراً لعافية الخوامع : قتلى وذبحى للضباع المارة .

الزمان اللاحب : القاشر ، الذي يقشر ويكشط كل ما يقابله .

(٨) تقول إن أقاربهم من ناعب وداهن قسموا بينهم كؤوس الموت فسقوها بني رئام بمخارص (سكاكين كبار كالمناجل) وخوارص (سيوف قواطع) .

فابْرِدْ غَلِيلَ خَوَيْلَةَ الثكْلَى التي رُمِيَتْ بأثْقل من صُخُور الصاقب[١]
وتلافَ قَبْلَ الفَوْتِ ثارِيَ إنَّهُ عَلَقٌ بثوبي داهِنٍ أوْ ناعبِ

فقال (مَرْضَاويّ) : حجر [٢] على مرضاوي الأعذبان والأحمران [٣] أو يُقتل بعَدَدِ (رئام) من (داهن) و (ناعب) ، ثم قال :

أخَالتَنَا ، سرّ النسَاءِ محرم علَيَّ وتُشْهادي النّدامَى علَي الخَمْرِ[٤]
كَذاكَ وأفلاذ الفَئيد ومَا ارتمت به بَيْن جَاليْهَا الوئيّة ملوَذرِ[٥]
لَئِنْ لم أُصبِّحْ داهنًا ولَفيفها ونَاعبَهَا جَهْرًا براغية البكْرِ[٦]
فَوَارِى بُنَان القوم في غامض الثرى وَصُورِى إليك من قَنَاعٍ ومِنْ مستْرِ[٧]
فإني زَعيم أنّ أُروِّى هامَهُم وأُظْمئ هامًا ما انسرى الليل بالفجر[٨]

ثم خرج في منسر من قومه ، فطرق (ناعبًا) و (داهنًا) فأوجع فيهم .

---

(١) الصاقب : جبل معروف ، فكانها رجمت به لما أصيبت بقتل بني قومها .
(٢) حجر : حرام ممنوع .
(٣) الأعذبان : النكاح والأكل ، والأحمران : اللحم والخمر .
(٤) سرّ النساء : نكاحها والتمتع بها .
(٥) أفلاذ الفئيد : قطع اللحم المشوبة المقطعة طولاً ، وجاليها : الجالان : الجانبان ، والوئية: القدر العظيمة .
(٦) أصبحهم براغية البكر : أهاجهم صباحا بالإبل الراغية .
(٧) صوري عليك : ضعي عليك ، اكتسي ، تغطّى .
(٨) زعيم : ضامن وكفيل .

٣١ - لا يرضى إلا بثلاثة آلاف

قدم وفد على هشام بن عبد الملك ، وفيهم رجل من قريش يقال له : إسماعيل بن أبي الجهم ، وكان أكبرهم سنًا ، وأفضلهم رأيا وحلمًا ، فقام متوكئًا على عصا ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت ، وأثنت عليك فأحسنت ، ووالله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مثنيهم [١] فضلك أفتأذن لي في الكلام ؟

قال هشام : تكلم .

قال : أفأوجز أم أطنب ؟

قا : بل أوجز .

قال : تَولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خيري الآخرة والأولى ، إن لي حوائج ، أفاذكرها .

قال : نعيم .

قال : كبرت سني ، وضعفت قواي ، واشتدت حاجتي ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى [٢] ، وينفى نقري [٣] .

قال هشام : يا ابن أبي الجهم ، ما يجير كسرك ، وينفي فقرك ؟

قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار .

قال هشام : هيهات يا ابن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل هذا .

---

(١) مثنيهم : من أثنى منهم عليك ومدحك .

(٢) يجبر كسرى : كناية عن إنهاضه من فقره ، وإغنائه من حاجته .

(٣) ينفي فقري : يطرده بعيدًا عني فلا يعاودني .

قال : كأنك آليت [١] يا أمير المؤمنين الا تقضي لي حاجة معًا في هذا ؟

قال هشام: ألف دينار لماذا ؟

قال : أقضي بها دينًا قد فَدَحني حمله [٢] ، وأرهقني أهله [٣] .

قال هشام: نعم المسلك أسلكتها [٤] ، دينًا قَضيْتَ وأمانة أديت . وألف دينار لماذا ؟

قال : أزوج بها من أدرك [٥] من ولدي ، فأشد بهم عضدي ، ويكثر بهم عددي .

قال هشام : ولا بأس ، اغضضت طرفا ، وأحَصنْت فرجًا ، وأمَرْتَ نسلا [٦] ، وألف دينار لماذا ؟

قال : أشتري بها أرضا ، فأعود بفضلها على ولدي ، وبفضل فضلها على ذوي قراباتي .

قال هشام : ولا بأس ، أردت ذخراً [٧] ، ورجوت أجراً ، ووصلت رحمًا، قد أمرنا لك بها .

فقال ابن أبي الجهم : الله المحمود على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحمُ خيراً .

فقال هشام : تالله ما رأيت رجلاً ألطف في سؤال ، ولا أرفق في مقال من هذا . هكذا فليكن الفرس .

---

(١) آليت : حلفت وأقسمت .

(٢) فدحني حمله : ثقل عليّ حتى لم أعد أقوى على حمله.

(٣) ارهقني أهله ؛ اعجلوني ،واشتدوا في مطالبتي به.

(٤) أي نعم المصرف تصرفها أو تنفقها فيه .

(٥) من أدرك : من بلغ سن الزواج .

(٦) أمّرت نسلا : أكثرت النسل والولد .

(٧) أردت ذخراً: ابتغيت ادخار ما يزينك من مدح وأجر وفعل مشكور .

٣٢ ـ هَذا واللهِ صَاحِبُ قريش الذي ذكر لنا

عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة [١] تحتبي ، وتقعد بفناء الخيمة تسقي وتطعم ، فسألوها تمرًا ولحمًا يشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك فإذا القوم مرملون مسنتون [٢] فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري .

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر [٣] الخيمة ، فقال : « **ما هذه الشاة يا أم معبد ؟** » قالت : هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم [٤] . فقال : «**هل بها من لبن؟** » قالت : هي أجهد من ذلك [٥] . قال : « **أتأذنين لي أن أحلبها ؟** » قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا .

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة ، فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله ، وقال : « **اللهم بارك لها في ثباتها** » . قال : فتفاجت [٦] ودرّت واجترت ، فدعا بإناء لها يربض الرهط [٧] ، فحلب حتى ثجا [٨] حتى غلبه

---

(١) برزة : كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم.

(٢) مرملون مسنتون: أصابهم جدب وشدة . (٣) كسر الخيمة : جانبها .

(٤) تعنى أنها ضعيفة إلى حدّ أنها لا تقدر على متابعة بقية الغنم إلى المرعى .

(٥) أي هي أضعف من أن يكون فيها لبن . (٦) تفاجت : فتحت ما بين رجليها للحلب.

(٧) يثقلهم ، ويبالغ في ريّهم ويثقلهم حتى يلصقهم بالأرض ، والرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٨) ثجا : سال اللبن من الإناء .

الشمال [١] ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب رسول الله ﷺ آخرهم، وقال: « **ساقي القوم آخرهم شربا** » فشربوا جميعًا عللا [٢] بعد نهل، حتى أراضوا [٣] ثم حلب فيه ثانيًا عودًا على بدء ، فغادره عندها حتى ارتحلوا عنها .

فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا حيلا [٤] عجافا ، هَزْلى ما تساوق [٥] مخهن قليل لانقى بهن [٦] ، فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاه عازبة [٧] ولا حلوبة في البيت ؟ قالت : لا والله ، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديث كيْتَ وكيْتَ . قال : والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب [٨] صفيه لي يا أم معبد .

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة [٩] متبلج الوجه [١٠] حسن الخَلْق لم تعيه ثجلة [١١] ، ولم تزر به صعلة [١٢] ، وسيم قسيم [١٣] ، في عينيه

---

(١) الشمال : الرغوة .

(٢) عللا بعد نهل : مرة بعد أخرى .

(٣) أراضوا : ارْتَوَوا .

(٤) أعنز حيلا : لسْنَ بحوامل .

(٥) لا تساوق : أي ما تتتابع ، كأن بعضها يسوق بعضا ، ويروى (ما تساوك) : أي ما تحرّك رؤوسها من الهزال .

(٦) لانقى بهن : لا مخ لهن أي أنهن هزيلات لا لحم ولا مخ عظام .

(٧) الشاة عازبة : أي والشياه التي نرعاها بعيده عنك تسرح في المرعى .

(٨) يُطلب : يبحث عنه قومه ، ويجدون في طلبه .

(٩) ظاهر الوضاءة : واضح الحسن .

(١٠) متبلج الوجه : مشرق الوجه .

(١١) لم تعيه ثجلة : لا يعيبه عظم البطن واسترخاؤه من أسفله .

(١٢) ولم تزر به صعلة : لا يقلل من هيبته صغر رأس . (أي أنه ليس هذا من صفته) .

(١٣) وسيم قسيم : حسن جميل .

دعج[1]، وفي أشفاره وطف [2]، وفي صوته صحل[3] ، أحور أكحل[4] ، أزج أقرن[5] شديد سواد الشعر في عنقه سطع [6] ، وفي لحيته كثَاثَة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما [7] وعلاه البهاء .

وكان منطقه خرزات عقد يتحدرن[8] ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر [9] أجهر الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، ربعة لا تشنؤه [10] من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر [11] ، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً .

له رفقاء يحفّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن أمَر تبادروا لأمره ، محفود [12] محشود [13] لاعابس ولا مُفند [14] .

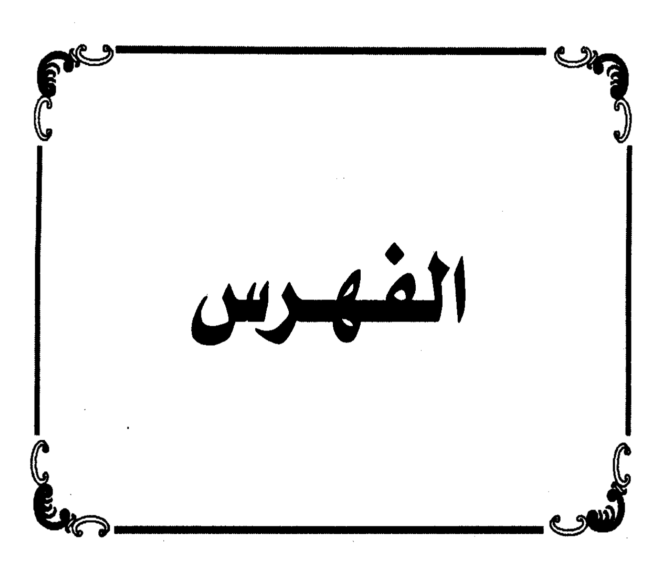
قال : (أي أبو معبد) : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا ، من

---

(١) في عينيه دعج : الدعج : السواد في العين .
(٢) وفي أشفاره وطف : في أهداب عينيه طول .
(٣) في صوته صحل : في صوته شيء كالبحّة .
(٤) أحور أكحل : الأحور : الشديد سواد أصول أهداب العين خِلْقَةً .
(٥) أزج أقرن : دقيق الحاجبين حسنهما ، والأقرن : المقرون الحواجب .
(٦) في عنقه سطع : في رقبته طول .
(٧) إذا تكلم سما : إذا تحدث علا رأسه أو يده .
(٨) أي كان مفردات كلامه لآلالئ في عقد ينطلق من فمه الشريف .
(٩) لانزر ولا هزر : ليس بقليل ولا كثير .
(١٠) لا تشنؤه : لا تبغضه ولا تكرهه.
(١١) أي لا تحتقره العين لقصره .
(١٢) محفود : مخدوم ممن حوله .
(١٣) محشود : مجموع له ، ومحشود حوله ما يريده.
(١٤) ليس بعابس الوجه : وجهه باسم طلق ، ولا فَنَد : أي ليس هَرَمًا شائخا .

أمره ما ذكر ، ولو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه ، ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

الحمد لله الذي بارك هذا العمل بأن جعل ختامه صفات خاتم خير خلقه، وخاتم رسله ﷺ .



الفهرس

الفهرس

المسلسل	المقطوعة	الصفحة

تم الصف والإخراج الفني

بمركز الصفا للكمبيوتر

مصر ـ منية سمنود ـ دقهلية

ت : ٠٤٠/٢٩٧٦١٣٧